الكاتب ١٧

للثقافة الإنسانية والتقدم

الكتب
20 JUL 1981
Library
BIRZEIT UNIVERSITY

رامبش شاندرا - سكرتير مجلس السلام العالمي

العدد السابع عشر
تموز ١٩٨١

المحتويات

- الموضوعية في تدريس الآثار بجامعة بيرزيت
- قصة قصيرة لمحمود شقير
- اتجاهات الشعر العربي المعاصر
- من تاريخ العائلات الفلسطينية
- الاسلام والنضال السياسي
- المادية الديالكتيكية
- لينين والقوى المحركة لحركة التحرر الوطني
- فيفولادي استروفسكي
- الدرهم الطبية الحقة وتحاريف البرجوازية
- صلاح لا فلفاد

Digitized by Birzeit University Library

صدر حديثا

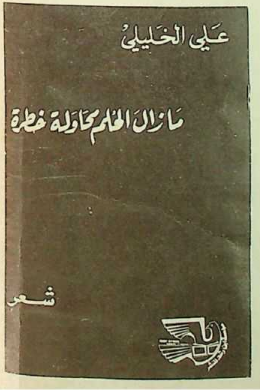

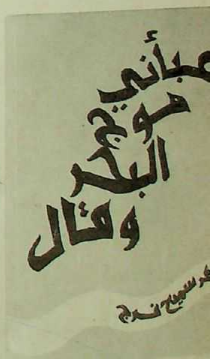

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

للثقافة الانسانية والتقدم

جامعة بيرزيت
المكتبة
20 JUL 1981
Library
BIRZEIT UNIVERSITY

المراسلات: رام الله ـ ص.ب ٩٩٥

المواد الواردة لاترد إذا لم تنشر

صاحب الامتياز والمحرر المسؤول
أسعد الأسعد ـ القدس

العدد السابع عشر | تموز ١٩٨١ | السنة الثانية

المحتويات

		صفحة
١. الموضوعية في تدريس الآثار بجامعة بير زيت	ربحي الشويكي	٣
٢. مدن ونساء ـ قصة قصيرة	محمود شقير	٧
٣. اتجاهات الشعر العربي المعاصر ـ عرض ـ	احمد حرب	١١
٤. من تاريخ العائلات الفلسطينية	موسى علوش	١٦
٥. الاسلام والنضال السياسي ـ البرافدا ـ		٢٣
٦. لم امت بين المرايا ـ شعر ـ	محمد الريشة	٢٦
٧. قنديل "نمرة" "٢" ـ قصة قصيرة ـ	سامي الكيلاني	٢٨
٨. المادية الديالكتيكية	تيسير عاروري	٣١
٩. لقاء مع سميح فرج	ابراهيم جوهر	٤٦
١٠. لينين ـ القوى المحركة لحركة التحرر الوطني	ابو احمد نابلس	٤٨
١١ وانغلقت القوقعة ـ قصة قصيرة ـ	محمد جمال	٥١
١٢ نيوكولاي استروفسكي ـ ترجمة ـ		٥٣
١٣ ثلاثية التكوين ـ شعر ـ	عبد الناصر صالح	٥٥
١٤ اتابع فيك نهاري ـ شعر ـ	ابراهيم نصر الله	٥٦
١٥ الديمقراطية الحقة، وتخاريف البرجوازية	ترجمة جورج دباح	٥٨
١٦ حلفاء لا خلفاء	سحر خليفة	٦٣

ترتيب المواد يخضع لضرورات فنية | السعر : ١٠ شواقل

Digitized by Birzeit University Library

كلمة لابد منها

مؤتمر التضامن مع سوريا والحركتين الوطنيتين اللبنانية، والذى نظمه مجلس السلم العالمي في دمشق، اكد مرة اخرى بان العرب ليسو وحيدين في مواجهة اعتى مؤامرة امبريالية ورجعية.

ولقد اكد المؤتمر ان المعسكر الاشتراكي وكل قوى السلم والحرية في اوروبا الغربية والامريكيتين والعالم الثالث تقف الى جانب

والحركة الوطنية اللبنانية، وكما قال بحق خالد محيي الدين في خطابه بالجلسة الافتتاحية، فان مقياس الجدية والاخلاص لدى الانظمة العربية يتحدد في موقفها من سوريا والحركة الوطنية اللبنانية.

ولقد اكد المؤتمر

وعلى الصعيد الثقافي فان الكتاب والادباء والفنانين والمسرحيين وكل من يسهم في الحركة الثقافية، مدعوون للمساهمة بقسطهم ازاء شعبهم

ولعل اول ما يتوجب التنبه اليه في هذا المجال هو توحيد الاقلام الشريفة والاسهام في كشف ومقاومة الدعوات الضيقة والرجعية والهيمنية.. ويجب على المثقفين، ان يعوا جيدا، بان الهجمة الرجعية الموجهة في الظاهر ضد هذا الجانب او ذاك ستطال عاجلا او آجلا كل الذين سيرفضون الركوع لمشيئة الحلف الرجعي والتعصب

واذا كانت قوى الحرية والتقدم والسلم في العالم، تتضامن مع شعبنا، فعلى المتنورين والمثقفين ان يرتفعوا لمستوى المسؤولية موحدين كلمتهم ضد الدعوات المشبوهة والهيمنية، ووضع اسس وتقاليد ديمقراطية للتعامل بين الاطراف الشريفة والمخلصة.

ويجب القول مرة اخرى بان الخطر لا يتمثل في القوى التقدمية وانما على العكس فهم يمثلون اشد العناصر ثباتا وصلابة ودراية في طبيعة الصراع المحلي والعربي والعالمي..

المحرر

Digitized by Birzeit University Library

الموضوعية

في تدريس الآثار بجامعة بيرزيت

زهي الشويكي - جامعة بيرزيت

ظهرت اطروحة في الفصل الدراسي الاول لعام ١٩٨١ لموضوع الاثار من اجل تدريسه كمادة ٢٢١ لطلبة في جامعة بيرزيت، وواضع هذه الاطروحة "الدوسية" رئيس دائرة الاثار في الجامعة الدكتور البرت جلوك. واهم ما يلفت النظر فيها التقسيم الجديد للادوار التاريخية والاسم التي يطلقها على هذه الادوار والفترات والتقسيمات التي يورد ما الدكتور جلوك كما يلي:

١) الدور "الكنعاني النجاسي" ويتضمنها الفترة النحاسية والبرونزية القديمة (٤٠٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م)

٢) الدور "الكنعاني البرونزي" ويضمنها الفترة البرونزية المتوسطة والبرونزية المتاخرة (٢٠٠٠ - ١٢٠٠ ق.م).

٣) الدور "الاسرائيلي الحديدي" ويضمنها الدور الحديدي بالفترة الفارسية (١٢٠٠ - ٣٣٠ ق.م).

ولنا على هذا التقسيم وهذه التسميات مآخذ عدة ولكن وقبل ان نورد مآخذنا لا بد وان نذكر التقسيم العلمي العالمي والتحسيات المتعبة لهذه الفترات.

١) الدور النحاسي (٤٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م) ويبدا بنهاية الدور الحجري الثالث.

٢) الدور البرونزي قديم، وسط ومتاخر (٣١٠٠ و ٢٩٠٠" - ١٢٠٠ ق.م).

٣) الدور الحديدي (١٢٠٠ - "٥٨٦" "٥٥٠" ق.م)

ومآخذنا على التقسيم الاول الذي يتبعه الدكتور البرت جلوك فهو من ناحيتين

أ) من الناحية العلمية، اثرية وتاريخية

ب) من الناحية السياسية وابعاد هذه التسمية.

أ) الناحية العلمية:

ان الصاق او الحاق اسماء قبائل باسماء الادوار التاريخية مبحث للشك لان هناك مجموعة عوامل تفرض نفسها حتى تتمكن من اعطاء التسمية الصحيحة للدور فلو نظرنا الى الدور النحاسي والذي يمتد من (٤٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م) فقد اطلق هذا الاسم على هذا الدور لان الانسان ولاول مرة في التاريخ يكتشف معدنا ويبدا في تطويعه واستعماله كاداة او آلة سخرها للانتاج بعد ان كانت اداة الانتاج لدى الانسان هي الحجر وكان هذا المعدن المكتشف هو النحاس. اذا يبدا

Digitized by Birzeit University Library

النحاس والدور النحاسي بعد انتهاء الدور الحجري الثالث" NEOLOTHIN " وقد اعتاد علماء الاثار على تسمية الحضارات في هذه الفترة النحاسية باسماء المدن التي وجدت فيها كالحضارة الغسولية وحضارة بئر السبع وحضارة مرج بن عامر. وهذا لا يقتصر على فلسطين فحسب بل في كل انحاء العالم وسبب ذلك عدم معرفة الاقوام التي بنت تلك الحضارات، وعدم معرفتهم يعود لعدم وجود الكتابة التي تحدد الهوية للقوم او سكان تلك المنطقة. وكما هو معروف ان اول بوادر الكتابة ظهرت في العراق على يد السومريين حوالي ٣٠٠٠ — ٣٢٠٠ ق م وهذه الكتابات هي التي عرفتنا بالاقوام والمدن السومرية بينما قبل ذلك التاريخ نقول حضارة جمدت نصر، اوروك، اور، حلف.. الخ، لانه لا يوجد بين ايدينا ما يقول لنا ان هذه الاقوام هي كذا..

وكذلك الحال في فلسطين فقد دخلت اليها الكتابة متاخرة اى بعد ٣٠٠٠ ق.م بكثير، لذا فان امكانية اعطاء او الحاق اسم قوم لفترة لم تكن فيها الكتابة موجودة يعتبر مجازفة غير مقبولة بل ومرفوضة علميا لانه سيتم بناء فرضيات على فرضيات غير مثبتة ولن تثبت لعدم وجود كتابة لاثبات ذلك. كما ان الحاق اسم الكنعانيين لفترة لم يكونوا موجودين فيها في المنطقة يمحي كلمة الكنعانيين ويحولها الى شبه رمز يمكن الاستغناء عنه لعدم وجوده في الواقع في ذلك الدور مما يعمم هذه الحالة على الادوار البرونزية اللاحقة وغيرها.

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان الحاق اسم الكنعانيين للدور النحاسي يبرر الحاق اسم الاسرائيليين للفترة الحديدية. لذا يبقى حصر التسمية باداة الانتاج المستعملة او الشائعة الاستعمال اكثر واقعية واكثر علمية.

اما من ناحية الدور الحديدي "الاسرائيلي الحديدي" فالتسمية غير مقبولة للاسباب التالية اولا: لا يمكن ان نقتصر اسم قبيلة على فترة زمنية طويلة وساحة جغرافية كبيرة وخاصة اننا نعرف ان هذه القبيلة او المجموعة "العبرية" لم تكن الوحيدة على ارض فلسطين كما انها لم تكن تشكل الاغلبية فيها اذ كانت تعيش في فلسطين مجموعة قبائل هي الكنعانية التي كانت تشكل العدد الاكبر من سكان فلسطين وكانت تنتشر في الداخل والشمال والساحل وثبت ذلك ما ورد في التوراة ×(سفر القضاه ١ : ٢٧ — ٣٣) "ولم يطرد منسى اهل بيت شان وقراها ولا اهل تعنك وقراها ولا سكان دور وقراها ولا سكان يبلعام وقراها ولا سكان مجدو وقراها فعزم الكنعانيون السكن في تلك الارض وكان لما تشدد اسرائيل انه وضع الكنعانين تحت الجزية ولم يطردهم طردا. وافرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين في جازر فسكن الكنعانيون في وسطه في جازر. زبلون لم يطرد سكان قطرون ولا سكان نهلول فسكن الكنعانيون في وسطه واصبحوا عبيد ورجوب فسكن الاشتيريون في وسطهم الكنعانيين سكان الارض لانهم لم يطردوهم. ونفتالي لم يطرد سكان بيت شمس ولا سكان بيت عناه بل سكن في وسط الكنعانيين سكان الارض فكان سكان بيت شمس وبيت عناه تحت الجزية".

ويقول كذلك في آية سابقة من نفس السفر "وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان اورشليم فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في اورشليم الى هذا اليوم".

ولم يبق الكنعانيون وغيرهم من القبائل في اماكنهم الا لانهم كانو اكثر عددا وعدة من العبرانيين ويثبت ذلك في التوراة ايضا (سفر القضاه ١٩:١) "وكان الرب مع يهودا فملك الجبل ولكن لم يطرد سكان الوادى لان لهم مركبات حديد "اى انهم لم يقوو على طردهم. كما كانت تنوجد في اقصى الشمال والشمال الشرقي وسوريا القبائل الارامية. وعلى الساحل الشمالي كان يسكن الفنيقيون يشاركهم الكنعانيون اما في الساحل الاوسط والجنوبي فاستقرت به في تلك الفترة القبائل التي عرفت بالفلسطينيين. اما في السفوح الشرقية والجنوبية فكانت بعض القبائل الاموية ثم جاءت القبيلة "المجموعات العسكرية المحاربة" العبرية" لتشارك السكان المحليين "الكنعانيين" بلادهم. ثانيا: لا يمكن الصاق اسم بفترة زمنية لم يكن هذا الاسم موجودا في تلك الفترة. فمن المعروف ان الفترة الحديدية تمتد ما بين ١٢٠٠ — ٥٥٠ و ٥٨٦ ق.م فمن فترة ١٢٠٠ — ١٠٥٠ ق.م تقريبا لم يكن هناك شيء يسمى بالاسرائيليين وحتى كقبائل عبرية لم يكونوا ذات وجود ولو انهم

Digitized by Birzeit University Library

بالفعل حصروا وبالشكل الذى يصوره تترك محيهم اثرا على السكان المحليين او المستعمرين المصريين والحتيين اذ ان الفراعنة ذكروا محي الفلسطينيين لانهم اثروا بهم ولكن لا يوجد بين ايدينا ما يثبت مجي العبرانيين في تلك الفترة سوى المصدر العبراني "التوراه" وواضح جدا انه لم يكتب في تلك الفترة . ثم ان المملكة التي اقامها داوود والتي بدأت سنة ١٠٠٠ ق.م لم يكن اسمها بالمملكة الاسرائيلية . وبعد سليمان وكما نعرف حصل الانقسام ولم تدم مملكة الشمال "السامرة" طويلا اذ جاءها سنحاريب الاشوري في الربع الاخير من القرن الثامن ق.م وقضى عليها اما يهودا في الجنوب فاستمرت حتى ٥٨١ ق.م عندما جاءها نبوخذ نصر البابلي وسبى كل اليهود (٥٠ الف نسمة) فلو لاحظنا نجد انه لا وجود لكلمة اسرائيليين او اسرائيلية .

ثالثا : اذا ما اردنا ان نلحق اسم قبيلة او عشيرة لفترة زمنية معينة ونصبغ هذه الفترة بهذه القبيلة او هذه التسمية المعدنية السائدة بهذه القبيلة فالاولى بنا ان نلحق اسم الفلسطينيين بالفترة الحديدية لانهم هم الذين احدثوا الانقلاب التاريخي في استعمال الحديد في فلسطين والاقطار المجاورة وليس "الاسرائيليين او العبرانيين" يثبت ذلك الحديد المصنع الذى عثر عليه في قبور الفلسطينيين بتل الفرع في الجنوب الغربي من فلسطين والذى يعود لبداية القرن الثاني عشر ق.م ولو رجعنا الى التوراة مرة اخرى فانه يؤكد ان الفلسطينيين كانوا محتكرين لصناعة الحديد وانهم كانوا يضطرون العبرانيين الذين يريدون تحديد ادواتهم ايا كانت ان يذهبوا الى الفلسطينيين وقد جاء في التوراة (صموئيل الاول ١٣ : ١٩ — ٢١) : "ولم يوجد صانع في كل ارض اسرائيل لان الفلسطينيين قالوا لئلا يعمل العبرانيون سيفا او رمحا . بل كان ينزل كل اسرائيل الى الفلسطينيين لكي يحدد كل واحد سكته ومنجله وفاسه ومعوله عندما كلت حدود السكك والمناجل والمثلثات الاسنان والفؤوس ولترويس المناسيس" رابعا : واذا ما نظرنا الى المخلفات المكتوبة اى من ناحية اللغة والكتابة فانه لم يكن للعبرانيين اية كتابة كما انه لم تكن هناك لهجة محددة عامة تربط بينهم بل كان هناك مجموعة لهجات معا فرض عليهم لغة عامة للتفاهم ويقول الدكتور فليب حتى في كتابة "تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين الجزء الاول ص١٩١) . "فقد اتى الشعب الذى عرف فيما بعد بالعبرانيين بشكل متجولين ومغامرين ومرتزقة وجنود لا انباط لهم ثم استقروا بالتدريج بين السكان الذين سبقوهم وفاقوهم في مدنيتهم وتعلموا منهم حرث الارض وبناء المنازل وممارسة فنون السلم واهم من ذلك القراءة والكتابة ويضاف الى هذا كله ان العبرانيين تركوا لهجتهم السامية القديمة واتخذوا اللغة الكنعانية لغة لهم" . يثبت ذلك ان اسماء المدن الواردة في التوراة هي اسماء كنعانية لمدن كنعانية بدليل ورودها في رسائل تل العمارنة والكتابات المصرية قبل الفترة الحديدية يعني ذلك ان الكتابات "العبرية" او التي يقال عنها كذلك ما هي الا كتابة ولهجة كنعانية كتبها الكنعانيون انفسهم .

ولن نطيل الحديث عن اللغة والكتابة ولكن سيكون لنا وقفة اخرى معها لانها الحاجة الى مزيد من الدقة والتفصيل .

اما بالنسبة للحدود التاريخية للفترات المذكورة فقد جعل الحد النهائي للفترة "الكنعانية النحاسية" الى نهاية الدور البرونزى القديم وهذا يعني تجاهل الانقلابات الحضارية والتاريخية لهذه الفترة اذ تعتبر بداية الفترة البرونزية (التي تبدأ في ٣٠٠٠ ق.م حسب التقسيم العالمي) هي بداية عصر الامبراطوريات اذ ان اول امبراطوريات التاريخ بدأت مع هذا الدور . اما الانقلاب التاريخي الثاني والهام جدا هو اكتشاف الكتابة اذ انها بدأت في هذا التاريخ تقريبا وان هذه الفترة بداية التاريخ اذ يعتبر التاريخ من بداية ظهور الكتابة وكل الادوار التي تعود الى ما قبل ٣٠٠٠ ق.م تكون في فترات ما قبل التاريخ . والحدث الهام الثالث ان معدن جديدا قد بدأ في الاستعمال وهذا المعدن هو البرونز (الناتج عن خليط النحاس بالقصدير) ولما كانت اسماء التقسيمات تعتمد المعادن او الى الانتاج الرئيسية فقد اطلق البرونز او الدور البرونزى على هذه الفترة ورغم انه لم يكن شائع الاستعمال الا انه كان موجودا وقد بدأ استعمال

Digitized by Birzeit University Library

في هذه الفترة رغم محدودية هذا الاستعمال.
هذه الانقلابات الحضارية الثلاثة لا يمكن لاى انسان تجاهلها او التغاضي عنها لذا فان انها الفترة النحاسية التي هي احدى فترات "ادوار" ما قبل التاريخ ببداية التاريخ. وان الفترة البرونزية القديمة قد بدات مع بداية التاريخ وخاصة ان مبرر التسمية وهو معدن البرونز موجود وفي المقابل فان الكاتب لا يطرح اى مبرر لهذا التحديد.

اما من ناحية تحديد الفترة الحديدية التي وضع حدها النهائي ب ٣٢٠ ق.م اى بمجيء الاسكندر بدل من ٥٥٠ او ٥٨٦ ق.م وهو مجيء نبوخذ نصر. فالمعروف عالميا ان الفترة الحديدية في الشرق الاوسط تنتهي بعام ٥٥٠ ق.م واذا ما اردنا اعتبار نهاية الفترة الحديدية مع نهاية الدولة في الجنوب فان الدولة انتهت وكما قلنا على يد نبوخذ نصر عام ٥٨٦ ق.م وان كل اليهود قد تم سبيهم الى العراق وانه لا يمكننا اعتبار فترة "اسرائيلية" لا يوجد بها اقوام ينتمون اليها. ولدل هناك من يقول بانهم اعيدوا. ولكن الثابت ان اعادتهم لم تكن كاملة وان القلبة عادت للسكان الاصليين "سكان الارض" ومن ناحية ثانية بدات تسود حضارة اخرى هي الحضارة الفارسية في هذه المنطقة والتي صبغت السكان المحليين بها. هذه الفترة التي اطلق عليها اسم الفترة الفارسية وهي التي بين ٥٥٠ – ٣٢٠ ق.م.

فهذه الفترة لا يمكن تجاهلها بكل حضارتها وثقافتها لتلحق بالفترة الحديدية "الاسرائيلية".

وبعد فانني لا اجد مبررا واحدا يلصق كلمة الاسرائيليين الى الفترة الحديدية او الكنعانيين بالفترة النحاسية. واذا ما اردنا الصاق اسم قبيلة للفترة الحديدية فالاولى هو الصاق كلمة كنعانيين وعندها لا نكون قد الصقناها بل يكون الواقع قد فرضها، اذ لولا الانقلاب الحضاري الجديد في اكتشاف معدن الحديد واستعماله كاداة يومية لظلت تسمية الدور البرونزي مستمرة لان الفخار التقليدي الكنعاني المستعمل في الدور البرونزي المتاخر يستمر والقبائل بلغتها وثقافتها وحضارتها تستمر رغم بعض الاحداث الانية التي كانت تحدث بين حين وآخر وان كانت تطورات فاننا نجد جذورها في الفترة البرونزية المتاخرة اما التطورات الاخرى فما كانت تحدث الا نتاج عملية التطور التاريخي نفسه الذى احدثه الاختلاط بقبائل متحضرة "وليست متخلفة" السبب الذى كان يؤثر على الفنان والصانع الكنعاني.

× نعتمد التوراة هنا لانهم يعتبرون كل الاثار والكتابات الكنعانية التي اكتشفت وتكتشف هنا تعود لهذه الفترة اى ما بعد ١٢٠٠ ق.م هي عبرية "اسرائيلية فقط.

Albright. The Archaeolog of Palestine P 110

صدر عن
منشورات اليسار
المثلث

داخل
اللحظة
الحاسمة

شعر
عبد الناصر صالح

Digitized by Birzeit University Library

مدن ونساء

بقلم محمود شقير

المرأة تغني من كوة في الباب : القدس من ذهب "١"، فكأنما يتأكلها الحنين الى حياة الليل في الخارج، والشرطي يعلن خطوه الثقيل في باحة السجن، يتوقف امام الزنازين، ويفكر برجال خطرين خلف ابوابها، ثم ينسى الامر، يضرط بين لحظة واخرى، كما لو انه في مرحاض عمومي، او كمن يتسلى لقطع الوقت، يبتعد، ولا يابث ان يعود، ويبتعد.

اقترب من تحت باب الزنزانة، واستبدت به الرغبة في التندر، نادى رفيقه في الزنزانة المجاورة، قال هامسا :

— انهم يؤكدون سيادتهم على نحو مضحك.

— ماذا تعني ؟ تلمّحا الى الغموض والوقت عسير.

— الا تسمع هذا الضراط الذي لا ينقطع ؟

— يبدو انه يعاني من فساد في معدته، هذا كل ما في الامر.

فجأة يندلع صوت الشرطي آمرا :

— سكوت، ايها القتلة..

يواصل الشرطي سيرته، وتغني المرأة، ثم تصيح :

— ايها الشرطي المنتصر، اعطيني سيجارة.

— اخرسي ايتها الزانية.

— امك هي الزانية.. كلكم مجرمون.

يحريد الشرطي، تضحك المرأة ضحكة ماجنة وتردد اغنية فاجرة، يزحف الليل بطيئا، يرتب العالم العربي سريره وينام، وثمة شرطي يعاني من فساد في معدته، وامرأة زانية تغني، ورجال تخترق عيونهم جدران الزنازين، ويحلمون.

— ٢ —

تبهره امسيات الشتاء، ويطير قلبه مع الغيوم وهي تسبح طليقة في مدى كوني فسيح، تتلوى في قلبه القيود، فيكتئب، يخطو الى البار، ويشرب خمرا رديئة، تنكسر القيود في مدى البار العابق بالدخان والقهقهات، ويشعر انه قريب من لحظة يشتهيها، تساوره الرغبة في الرقص، يرقص. ويخور كالثور.

يعيدونه الى المائدة مكرها، ويحكمون عليه الحصار، فيبكي صارخا :

— حتى هنا يا اوباش ؟

ينهمك في تعاطي خمرته، ويشعر انه بعيد عن اللحظة التي يشتهيها. ينهض متثاقلا ويغادر البار.

تستقبله ريح ماطرة، وشارع تلتمع على صفحته اضواء كابية، يمشي على مهل غير عابئ بالريح والمطر، يبصر شرطيا متدثرا بمعطف

Digitized by Birzeit University Library

تحت احدى الشرفات، يسترق النظر الى وجه الشرطي: انه يعد عليه خطواته، تشتعل في قلبه حالة صحو حارقة، ويغذ الخطا الى بيته البعيد الغارق في الظلام.

— ٣ —

تلقي بك الايام على تارعة المدن المبهمة، تطوف فيها كطفل يحن الى صدر امه، فلا تعثر الا على تجارة الجنس، تكذب على نفسك كام تلقم طفلها ثديها الضامر. وتختار امراة ما في مدينة ما، تدخل الى مخدعها المموه عن اعين الشرطة باتقان، يستشيرك الجو الهادئ المخادع فالاسرة تمارس عاداتها الليلية كالمعتاد: الاطفال جاحظوا العيون امام تلفاز يبث فيلما امريكيا عن القتل والاغتصاب، والام تسعى مثقلة بين المطبخ والصالة وغرفة الضيوف، والرجل الذي يجلس معتمرا قبعة في مينة (رب الاسرة) الوقور، يرقب صمت اصدقائك ريثما تنتهي من مهمتك لتبدا مهمة واحد آخر منهم.

وتقول لنفسك: فقط لو ان مخدعها يبعد الف ميل عن غرفة الضيوف، لكنه للاسف قريب قريب لا تفصله سوى ستارة هفهافة.

تحاول ان تتناسى الامر، خاصة وان اعين الشرطة تهوم بعيدا عن البيت، بحثا عن رجال خطرين يهددون امن المدن المبهمة، فلمادا يستبد باصدقائك القلق؟ فلا ينطقون، صمتهم يكربك، فكانهم يحصون عليك انفاسك، لمادا لا يتشاغلون باضغث الكلام؟ رحمة بك على الاقل. يقطع (رب الاسرة) الصمت، يبعثر في جو الغرفة بضع كلمات، فجاة تندلع ضحكات خاطئة، تخترق الستارة، تلغيها، يصبح المخدوع وغرفة الضيوف حيزا واحدا. تنهال التعليقات كالصواعق:

— انه الان على مشارف مدينته المستباحة.

— ما هو دا يسترد ما الان.

تختلط المشاهد في ذاكرتك، يرتد جوعك الى علاقة مبراة من القيود الى اعماقك السحيقة، تذبل، تتعالى الضحكات، تموت، تحدق المراة في عينيك، ترى دمعة مترقرقة، تحاول استثارتك فتمعن في الموت، تشع من عينيها شفقة متطاولة وتهمس في اذنيها.

— انه زمن المدن المبهمة.

فلا تفهمك، تنهض مستعجلا، وتفر مبتعدا باحثا عن الوضوح.

— ٤ —

بلاد وافرة الخضرة تذكره ببلاد اخرى يشتاق اليها فتظل بعيدة، يقف في شرفة الفندق الهادئ. يجيل النظر في اتساع البحر مرة، وفي الاشجار المتعانقة على التلة المجاورة مرة اخرى، يستفزه الصمت المطبق، يهبط الى صالة الفندق لا احد سوى الموظفة العجوز تطل من عينيها طمانينة ما.

يصعد في الدروب الضيقة عبر الاشجار. وينتهي الى قمة التلة: عصافير كثيرة تغرد مبتهجة، انه المساء وهي تعود الى اعشاشها تحمل الحب لصغارها. لم يعثر على احد من المتنزهين في التلة، نمت في صدره وحشة، تسلى بالنظر الى البحر، انه الان بعيد، وثمة سفينة توغل ببطء عبر الغبش القاتم في اتجاه عالم فسيح. والبحر يخبئ عنه اسراره. تطاولت وحشته.

هبط التلة مسرعا، تمشى فوق المساحة الرملية التي تفصل الفندق عن البحر، تامل المظلات المتناثرة فوق الرمل: ليس ثمة الا صمت المظلات ووشوشة امواج البحر: انه المساء، فلا رجال ولا نساء على الرمل.

تناهت الى سمعه موسيقى خافتة تنبعث من الطابق الارضي المواجه للبحر، غذ السير الى مصدر الموسيقى: مرقص يعج بالرجال والنساء، بعضهم يتمايلون ازواجا منسقة في حلبة الرقص، وآخرون اكتظت بهم الموائد، تامل سيقان النساء التي لوحتها شمس البحر، وعلى وقع الموسيقى احس ان تقابل امراة ورجل في حلبة للرقص لا يقل سعادة عن العيش في وطن غير مكبل.

اقترب من امراة وحيدة، استاذنها، في الجلوس، قالت كلاما لم يفهم، ورنت اليه مبتسمة، اعتبر ذلك ايذانا له بالجلوس، جر الكرسي الى الخلف، وقبل ان يجلس، حل على المائدة رجل يحمل كاسين من البيرة، قدم للمراة كاسا، شربا نخبا، ثم انهمكا في الحديث اعاد الكرسي الى مكانه، انسل في صمت، مشى فوق الرمل متثاقلا، حدق بعيدا: اختفت السفينة المبحرة تماما. فارهقه ذلك، وازداد شعوره بالوحشة.

اصغى الى همهمات البحر، فادرك انه وحيد

Digitized by Birzeit University Library

كطفل ، حزين كبلاد اسيرة .

— ٥ —

صادفتها في مطعم المدينة، تعرف انك قادم من الشرق، تحدثك عن الحب في بلادها، حدثتها عن القيود في بلادك .

تهبطان مساء الى الشاطئ، تركضان فوق الرمل كطفلين، يغريهما نداء البحر، تخلع ملابسها، يتلقفها صدر الموج، تنزلق فوق الماء كانها سمكة :

وتناديك :

— لماذا لا تنزل في الماء ؟

انتابك الخجل :

— لا اجيد السباحة .

تعود اليك ، تمد ذراعها وتقول :

— البحر دافئ .. تعال .

غالبت خوفك من الماء، تقدمت متهيبا، تتحسس قدماك رخاوة الرمل، تحثك على التقدم وهي تغري ترددك .

القيت بنفسك في طلعة الموج، ابتلعتك الماء مالحا وشهقت، تساعدك على العوم بوجه وادع تحت خصلات شعرها المبلل الملتحف .

تستلقيان في تعب لذيذ فوق الرمل، تتوحدان على وشوشات البحر وخيوط القمر الفضي، نسيت نفسك وشعرت ان العالم بدر مكتمل

صحوت دون رغبة منك، تاملتها وهي مغرقة في اغفاءة عذبة، خشيت ان توقظها نظراتك الجارحة، تشاغلت بالنظر الى لجة الاضواء المنبعثة من مدينتها التي تنام على ذراع البحر، استيقظت في قلبك الغجيرة .

تنهض متكئة على ساعدها وكانما شعرت بما يساورك، ترى ظلالة حزن على وجهك :

— انت حزين، ما الذي يكدرك ؟

لذت بالصمت، تكرر سؤالها، اجبت :

— انها المدن الهائمة على وجهها في الظلام .

تنتصب مثل سهرة في عريها الكامل، تقترح عليك :

— هيا بنا نغني : يا شعوب الشرق .

تتكسر في قلبك القيود، وتغنيان معا، هي بلغتها، وانت بلغتك :

يا شعوب الشرق، وتشعر انكما تنتميان الى اسرة واحدة ..

مقاطع مبعثرة من مذكرات عامل

كما نتلاقى من عشية ونقعد على الجسر العتيق وينزل على السهل الضباب يمحي المدى ويمحي الطريق

آه ما حدا عارف إمطرحنا غير السما وورق تشرين ويقللي بحبك انا بحبك ويهوب فينا الغيم الحزين" .

الصوت ما فوق البشرى كان ينساب من محل بائع العصير على ناصية الشارع . وكان الوقت مساء واصر شيء ما في داخلي ، لا ياسوم ، على المضي باتجاه بائع العصير رغم انني لا اشعر بحاجة لشرب شيء .

ولا ادري لماذا راح لساني يطالب من البائع كاسا من الليمون، اخذت ارتشف العصير منها ببطء وبدفء الوقت كانت اذناي ترتشفان النغمات الساحرة ببطء ايضا .

ولا ادري لماذا تذكرني هذه الاغنية بك دائما، تحضرك الى مخيلتي والحزن في عينيك تقولين :

كان المستقبل في خيالي حلما رائعا، وحين غصت في اعماقه وجدته شيئا عاديا يدعو للملل . عدتني يا عيسى لقد كانت كل اغنية احبها وعدا .. كذلك الازهار .. الاحساسيس ، الامال وكل الاشياء الاخرى والجميلة .. كلها كانت تعد بشيء جميل . حينما قلت لها :—

ذلك انك حائرة .. ثمة طريق اعرفه .. هو ملي بالاشواك .. لكن خلفه الجنة الموعودة .. تلك التي لم يذكرها الانبياء في كتبهم .

Digitized by Birzeit University Library

وكان ان مددت لك يدى ، فلماذا لم تمد انت يدك ايضا ؟

●

ذلك المساء كان في نيتنا ان نستقبله كاى مساء آخر من امسيات شهر رمضان لكنه رفض باصرار عنيد ان يكون عاديا ، رفض ان نستقبله كما كنا نستقبل غيره .. كان مساء اسود يرتدى ملابس حمراء بلون الدم . وكان من عادة امي ان تبدأ باعداد طعام الافطار بعدما يأتي بها ابي بما يلزم حينما يعود من عمله ، لكنها في ذلك المساء لم تعد شيئا ، فقد تأخر ابي على غير عادته .. انتظرناه طويلا .. لم يأت . وفيما انطلق صوت المدفع اقتسمنا قطيعات من الخبز البائت مع كاس من الشاى لكل واحد منا وعلى الفور بدأنا بالتهام ما في فراشه . وفي الحقيقة لم انم لان امي هي الاخرى لم تنم .. كانت صامتة كئيبة .

وحين طرق باب غرفتنا تسارع نبضات قلبي وانطلقت امي نحو الباب ، فتحته ، ورأيتها تقف جامدة بلا حراك . ثم فجأة تضرب وجهها الجميل بكلتا يديها ، وتنتحب ، في داخلها صرخة عظيمة مكبوتة تحاول جاهدة ان تخرج لكنها لا تتمكن ـ فقد كانت امي خجولة خجولة جدا وفي كل الظروف .

خلف الباب كان ابي محمولا على اكتاف رفاقه العمال . ولم يكن معه شيء .. اجرته اليومية ، الحلوى التي قطع وعدا بها في الصباح لاختي الصغيرة حنان . هو ذاته اصبح عدما . وكان ان عرفنا من رفاقه انه سقط من فوق احدى العمارات . بينما كان يصعد الى سطحها بصحبة صديقته " تنكة الباطون " .

وعلى ما اذكر اقيمت مناحة في الدار واشياء اخرى كثيرة مزعجة ومن يومها بدأنا السير فوق اكثر اشواك الدنيا ايلاما . وكان لا بد لامي واخي الكبير احمد الذى كان في الجامعة حينها ، ان يحلا مكان ابي . ومن يومها ايضا نبتت في قلب اخي بذرة لنوع من العشق محرم يغزو في العادة قلوب الفقراء المحرومين .. سرعان ما نبتت تلك البذرة في قلوب جميع افراد الاسرة الصغيرة ومن جديد ابتسمنا للحياة .

المقطع الرابع :

في مساء ذلك اليوم اخذتني قدماى الى غرفتنا التاريخية وفي يدى كانت مجموعة من الدفاتر محشوة بالكثير من تفاهات اساتذة الجامعة . ورغم كوني احملها منذ الصباح الا انها كانت خارج ذاكرتي واحساسي . حين اقتربت من الغرفة وجدت امي تجلس على عتبة الباب . كانت تبكي بصمت ، وتضع يديها على خدين يحملان صورا لكل اشكال معاناة الانسان . تعتصرهما بقسوة لكن بهدوء . فقد كانت امي عندما .. [illegible] تجزع الظروف . لم اجرؤ على سؤالها ولم اجرؤ على استقبال المفاجأة منها .

ـ دخلت الغرفة .. الصغيران سامية وفائز كانا يبكيان بصمت . اما حنان البريئة جدا والحزينة منذ ان افتقدت هداياى الحلوى فقد كانت تجلس في الركن هناك دون ان تفعل شيئا سوى التحديق في نقطة لا اعرف موقعها من هذا الكون .. اتجهت نحوها مستفسرا فتمتمت بكلمات علقت واحدة منها بذهني :

ـ اخـــذوه ....

تلفت حولي على الفور .. الكتب متناثرة وكل الاشياء الاخرى . وعلى كل شيء كانت آثار كلاب المدينة .

سألتها مرة اخرى مستفسرا :

ـ اخذوه ؟ ..... اخذوا مـــن ؟

تمتمت من جديد :

ـ اخـــى احمـــد .

عندما عدوت الى الخارج فعانقت امي وكل الاخرين . ورجوتهم جميعا بكل ما املك من حرارة ان يحتفظوا بقليل مـــن دمـوعهم فقد جاء دورى .

●

Digitized by Birzeit University Library

"اتجاهات الشعر العربي المعاصر"

عرض: احمد حرب

"اتجاهات الشعر الحديث" لصاحبه الدكتور احسان عباس صدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب في الكويت عام ١٩٧٨ ضمن سلسلة "عالم المعرفة". الكتاب يقع في ٢٩٢ صفحة من الحجم المتوسط ويتالف من ثمانية فصول بالاضافة الى ملحق يتضمن القصائد المهمة التي استشهد بها الكاتب في متن كتابه.

ولد الدكتور احسان عباس في فلسطين عام ١٩٢٠ وتخرج من الكلية العربية بالقدس ويعمل الان استاذا للادب العربي بالجامعة الامريكية في بيروت، وقد اسهم في تزويد المكتبة العربية بالكثير من الكتب المؤلفة والمحققة والمترجمة، منها: تاريخ الادب الاندلسي الطيب نفح ديوان لبيد، ديوان كثير عزة، وفيات الاعيان، موبي ديك "ملفيل"، مدارس النقد الادبي (ستانلي هايمان) ق.س اليوت: الشاعر الناقد (مائيس).

الجديد في كتاب اتجاهات الشعر العربي المعاصر هو ان المؤلف يرفض ان يختار طريقا مالوفة في دراسة الشعر في الوطن العربي من خلال الاتجاه السياسي او الاتجاه القومي لان هذا في رايه سيحول الشعر الى وثائق ويصبح اى بحث يتبع هذا المنبح اشبه بالعرض التاريخي والوصف السطحي. ان الكاتب يختار ان يكون "اقرب الى روح الشعر الحديث من حيث اعتماده العمق النفسي والفكري". وعلى هذا الاساس المنهجي يرى الدكتور احسان عباس خمسة مواقف رئيسية تكفي للدلالة على اكبر الاتجاهات الشعرية في السنوات الثلاثين الاخيرة كما تكفي للدلالة على مدى صلة الشاعر بالحداثة.

الموقف من الزمـــن:

يتراوح هذا الموقف عند الشعراء المعاصرين بين التزاوج الضروري بين الزمن والمكان او المسافة"، الصراع بين زمن تاريخي واقعي وزمن لا نهائي — او على الاقل انبعاث متجدد، بحث الماضي، فهم الزمن بانه دورات محدودة الامد يتخللها نظرة رجوعية للماضي، واخيرا فهم الزمن بانه تيار مستمر.

يتميز خليل حاوى بالوعي الدقيق للتزاوج الضروري بين الزمن والمكان — او المسافة —. نلحن حينا في نهر الرماد (انعدام الحركة)، او

Digitized by Birzeit University Library

في جوف الكهف او الحوت، او في القبر، او في الرحلة الثامنة(لا حركة لانها رو'يا) ومعنى هذا انه في موقف محدد من الزمن: انعدام الزمن في الكهف، التحرك حركة بسيطة خفيفة في "لعازر"، او هو لحظات خاطفة لا تلبث ان تمحي "عمره عمر الفجر، عمر ثانية من الثواني". وخليل حاوى ينتصر على الزمن "بتجميد" الماضي وعن طريق البعث والتجدد كما في قصيدته "البحار والدرويش".

الشاعر بدر شاكر السياب على عكس خليل حاوى يذكر الماضي كثيرا ويجد فيه ملاذا وحمى وعزاء عن الحاضر. وللسياب مواقف مختلفة بسبب تحولاته المختلفة في نظرته الفكرية فيقترب احيانا من خليل حاوى في ان يرى نفسه ميتا يبعث رامزا بذلك الى بعث الامة العربية. هذا الموقف هو الغالب في قصائده "الكهفيات" عندما كان يغلب عليه الاتجاه القومي، الموت سيستفيق ولكن لا يمكن ان يحيي دون الماضي:

ومن اجرة حمراء ماثلة على حفرة
اضاء ملامح الارض
بلا ومض
دم فيها فماما
لتاخذ منه معناما
لا عرف انها ارضي
لا عرف انها بعضي
لاعرف انها ماضي، لا احياء لولاما
اني ميت لولاه، امشي بين موتاها

اما نازل العلائكة فانها تختلف في موقفها ازاء الزمن من خليل حاوى والسياب. فهي ترى في الزمن قوة مطاردة جبارة والانسان يحاول الهروب منها ويبقى في صراع مستمر معها ولكن النصر في النهاية للزمن. فالزمن في قصائد نازك يتخذ رموز الافعى الغول والسمكة الميتة. الامس في شعرها ميت والغد رهيب والحاضر قراغ يمر الزمن فيه ببطء. ولا نجاة من الماضي والمستقبل الا باللجوء الى دائرة "اللازمان"، اى اليوتوبيا التي يتعطل فيها حكم الزمن.

لا يوجد للزمن وجود ذاتي متميز عند ادونيس. فانه لا يبحث عن زمن ضائع ولا يركز نظره في تقلبات الزمن وتجسداته وانما يلاحق زمنا "لم يولد بعد". فالزمن عند ادونيس "ساحة لديناميةالانسان"، والانسان في صيرورته المستمرة يرسم ابعاد الزمن. ومحمود درويش يقترب الى هذا الفهم "بان الزمن قائم على الصيرورة المستمرة يفعل فيه الانسان ويتفاعل به، ولكنه كثيرا ما تروق له العودة الى الماضي لاستكشافه متمثلا في الطفولة.

الموقف من المدينة:

يكشف الشاعر المعاصر في موقفه ازاء المدينة عن الصدمة الناتجة عن فقدان النقاء المعنوى في المدينة. يوازى هذه الصدمة حنين عميق الى صفاء الريف وبساطته وبعده عن الرذائل. وتعكس المدينة بانها مكان الاستغراب النفسي والاجتماعي والضياع. وكثيرا ما تكون صورة المدينة لدى الشاعر المعاصر صورة امراة متعهرة. فدمشق ادونيس امراة وتحمل كثيرا من صفات المجتمع العربي:

يا امراة مليئة العروق بالغابات والوحول
ايتها العارية الضائعة الفخذين يا دمشق
ونيسابور الخيام عند البياتي امراة متعهرة، كل الغزاة ابصقوا في وجههاالمجدور وضاجعوها وهي في المخاض.

وكذلك بابل عند البياتي "مومس عاقر" من الف الف عام وهي في اسمالها تضاجع الملوك/ وتفتح للغزاة ساقيها وللطغاة". والقدس عند حميد سعيد تبدو سبية" ومليك يهودى يقضي ليلة معها / وقد لقحت فاولدت دما مرا!

وكثيرا ما يجد الشاعر الحديث بدائل تغنيه عن المدينة اما بالحنين الى الريف، او بالعودة الى الطبيعة، او في خلق "مدن مسحورة" تغني الشاعر عن مدينة الواقع المليئة بالالام والعذاب فالبياتي يجدها في "المدينةالمسحورة" التي قامت على نهر من الفضة والليمون"، ويجدها سميح القاسم في واقع الحياة الاشتراكية، ويضيعها السياب فيضيع بذلك حلمه الكبير.

اذن موقف الشاعر المعاصر من المدينة ــ كما يلخصه الدكتور احسان عباس ــ يدل على

Digitized by Birzeit University Library

الانجاهات التالية

١) رد فعل رومنطيقي يعتمد في قوته او ضعفه على نشأة الشاعر ونفسيته، وهنا يخلق الشاعر مدنا موهومة او يضخم من "فضائل" الريف على حساب المدينة.

٢) تشكل المدينة بحسب الانتماء العقائدي او الوضع النفسي الفردي، فالمدينة وعاء لا يتغير وانما الذي يتغير هو البنية التركيبية في موءساتها السياسية او انتمائها.

٣) اعتبار المدينة واقعا مسطحا ينعكس على وجهه تمزق الشاعر او التوتر الوجودي بينه وبين المدينة.

٤) اعتبار المدينة رمزا للحضارة الحديثة، والثورة عليها على نحو هجائي احصائي (كما يفعل البياتي) او تحليل العلاقات والمستويات الحضارية الراهنة من خلالها (ادونيس).

الموقف من التـــراث :

يجب ان نميز بين نوعين من المواقف : الموقف الفكري والموقف الشعري، وبين نوعيـــن من التراث : التراث الشعري والتراث الحضاري.

بالنسبة للموقف الفكري فقد شارك بعض الشعراء ساتر المفكرين الذين تناولوا هذه القضية فصلاح عبد الصبور يعتقد انه من العسير على الشاعر ان يتجرد كليا من التراث، ويرى ان الشاعر العظيم هو الذي يستطيع "ان يتجاوز التراث مضيفا شيئا جديدا". ويعتقد ادونيس في كتابه "زمن الشعر" انه يجب التمييز في التراث بين مستويين : الغور والسطح "السطح هنا يمثـــل الافكار والمواقف والاشكال. اما الغور فيمثل التفجر، التطلع، التغير، الثورة، لذلك ليست مسالة الغور ان نتجاوزه، بل ان ننظر فيه.... الشاعر الجديد — اذن — منغرس في تراثه، اى في الغور لكنه في الوقت ذاته منفصل عنه".

واما في الموقف الشعري فان الشعراء متفاوتون في درجة ايمانهم بالتراث. فهناك من يوءمنون بالتراث ويعتزون به مثل توفيق زياد، وهناك من يتوق الى التغيير الحضاري ولكنهـــم لا يدينون الماضي بل يدينون تعهره. ومن هولاء الشعراء محمود درويش، بالنسبة لسميح القاسم فان علاقته بالماضي تتعرض، الى اهتزازات متتالية : فمرة يعتز بالتراث وبالماضي ويستمد منه اسباب القوة، ومرة ينعى تخلف الحاضر مقابل خضرة الماضي، ومرة يحس انه خدع بالاسطورة التاريخية التي زورها، ولكنه يظل يوءمن بانتمائه الى تاريخ عظيم" علق بنعله بعض الوحول "واما ادونيس فانه يطيل الوقوف عند الجوانب السلبية في تاريخنا.

واما عن موقف الشاعر الحديث من التراث الحضاري بشكل عام، فان معظم الشعراء المعاصرين يميلون الى توسيع مدلول التراث، انه ليس تراثا عربيا اسلاميا وحسب بل تراثا انسانيا، حيث يتعامل الشاعر مع هذا التراث من زوايـــا مختلفة اهمها اربعا :

التراث الشعبي، الاقنعة، المرايا، والتراث الاسطوري.

الموقف مـــن الحـــب :

باستثناء نزار قباني وجانبا من شعر صلاح عبد الصبور، لم يتخذ الحب شكل موضوع شعري مستقل، وانما هو ذائب في التيار الشعري جملة" فقد اكثر نزار من الحديث عن الحب حتى سماه البعض "شاعر الحب" وسماه آخرون "شاعر المرا المراة" ولكن نزارحسب راى المولف لم يتحدث عن الحب بمعناه العاطفي وانما تحدث عنه بمعنى جديد جعل الحب طرفا في قوتي صراع كبيرتين الا وهما "المراة والرسم بالكلمات"او الحرف والجنس.

في المراحل الاولى يتناول نزار اشياء المراة والالوان التي تربط بينها وبين الطبيعة (مع تركيز خاص على النهد) ثم اخذ يتنبه الى "حركات المراة" (وهي تمشط شعرها وهي مضطجعة وهي ترقص..الخ) مع مزيد من الالحاح على اشيائها. بمعنى آخر كان نزار "يبعثر" المراة ولا يلمها في خلق سوى"، وكان في هذا كله يفتن بالجزء ويحوله الى قصيدة جميلة. ثم انتقل الى مرحلة الحديث عن مشكلات المراة فانتقل بذلك من ان يكون جماليا الى ان يكون سيكولوجيا. ومع ان الشاعر في هذه المرحلة كان يصور ثورة المراة على تقليدات الرجل الا انه كان شديد الميل الى تصوير مدى فتنة المراة بالرجل وتعلقها به وتذللها له وتلذذها بحركاته واشيائه

Digitized by Birzeit University Library

ونزار يرى الشاعر الجمالي طفلا يلعب بتلك "الاشياء" كما يلعب طفل بالدمى"، وفي موضع آخر (في ديوانه الرسم بالكلمات" يرى أن الرجال كلهم اطفال :

لم تستطيعي ان تتفهمي ان الرجال جميعهم اطفال

وبهذه الصورة نفسها ترى المرأة الرجل :

فانت كالاطفال ياحبيبي نحبهم مهما لنا اساءوا

وتبقى المرأة — الام — ينبوع جمال وحب، وسيظل الحب عند نزار بمعنى رؤية الجمال وضروب الصراع في الحياة والمشاعر هو الملاذ الاخير.

اما صلاح عبد الصبور، وان كان يشترك مع نزار في الوقوف عند المظاهر الحسية من عالم المرأة، الا انه فقد القدرة على استعادة "فرحة الطفل" بالاشياء، تلك الخاصية التي تميز شعر نزار قباني." فاذا تحدث صلاح عن الحب، لم يكن حديثه عن اغنية رقيقة شفافة، وانما هو تأمل حاد، متصل بحقيقة نظرته الفلسفية الشاملة، الى الموت والحياة". فحزن صلاح هو حزن انساني لا فردي يتصل بتصور صلاح من وضع الانسان في هذا الكون : "الانسان مخلوق شريق مناضل جميل حين لا يفقد الالفة مع اخوته او حين لا يموت في قلبه "الانسان ولكنه في النهاية هو الفارس القديم لانه يعيش في غير عصر الفروسية، وهو في النهاية مهزوم كما انه هو الملاح الذي مات قبيل الموت حين ودع الاحباب والاصحاب والزمار والمكان".

الحب بمعنى "الجنس" هو عند صلاح لحظة شبق، ولكنه حين يتحدث عن الحب بمعناه المطلق فانه يجد فيه "قوة كونية" وان عجزت ان تتغلب على الموت تستطيع ان تكون ملاذا منه.

والحب عند البياتي — خاصة في المراحل الاخيرة من شعره — هو "قوة موحدة تربط بين الشاعر والكون وتصل ما بينه وبين الاخرين وتخلق علاقة بين الواقع واللاواقع، ولكن مجاورته للكرة، تجعل قوة التوحيد "املا" لا حقيقة، ذلك لانه محتاج للكرة من اجل الثورة" اي ان "الاتحاد" عند البياتي مستحيلا على العكس عند محمود درويش حين ان "الاتحاد" هو سر شعره، ولكنه اتحاد من نوع آخر، انه وحده الشاعر والام والحبيبة والارض في نطاق واحد دون انفصال. قد يذكر محمود درويش اسماء واقعية لحبيبات، ولكن هذا يجب الا يصرفنا عن رؤية المعنى الكلي الذي يرمي اليه سواء "اكان تعبيره باللغة الصافية او الدامية" او اللغة النائمة او اللغة الضائعة، فان المعبودة واحدة لاتتغير، ابتداء من بطاقة التشريد حتى كل محاولة للعثور على الهوية تلك الهوية التي لن تتحقق دون الوطن".

ولا بد ان يختلف تعبير المرأة عن الحب — ولو قطريا عن تعبير الرجل. فقدوى طوقان عندما تتكلم عن الحب او تجربة الحب، تعتقد — — كالرجل — ان الفن نوع من التخليد للمحبوب، الا انها تختلف عن الرجل في تحليل عاطفة الغيرة، فهي اميل الى القول ان المرأة اشد اخلاصا في الحب من الرجل وانها اكثر وفاء، وهي لا تتفلسف كثيرا حول الحب كما يفعل الرجل بل هي اكثر التصاقا بالواقعين. وتميز فدوى بين الحب والود : فالاول متصل بارتعاشات مبهمة والثاني متصل بالصداقة.

الموقف من المجتمع :

تمثل المواقف الاولى — الموقف من الزمن والمدينة والتراث والحب — جوانب من علاقة الشاعر بالمجتمع. الجديد في هذا الموقف هو ان البعض يعتقد جازما ان الفرد والمجتمع يمثلان طرفي صراع، كما ان هناك من يبرهن على ان الوضع الانساني كله لا يتعدى الصراع بين الطبقات في المجتمع.

بالنسبة للقضية الاولى — الصراع بين الفرد والمجتمع — فان الفرد والمجتمع طرفان لا يستويان في المعادلة. فمن الذي سينتصر في النهاية؟ الفرد؟ تلك حقيقة تتجاوز القول — عل على نحو من تصور كافكا "بان الفرد محكوم، دون ان يعرف من هم حكامه، ومن هي المحكمة التي تدينه، وما هو الذنب الذي يحاكم من اجله وما هي التهمة الموجهة اليه سوى تهمة الوجود" ومع هذا فان ممدوح عدوان يؤمن بفردية "الشاعر"، حيث يقول في مقدمة ديوانه "الظل

Digitized by Birzeit University Library

الاخضر" :ان الفنان اذ يكتشف صفاءه، يكتشف عكر العالم. وتصطدم صلابة صفائه بصلابة العالم وهذا الاصطدام يولد الشرارة المضيئة للفن.. ان الفن يتبع دائما من هذا الصدام، من الرغبة في ان لا يفقد الانسان صفاءه.. ويصبح هذا الهم الذاتي جذر الهموم الناس جميعا".

ولا بد من التمييز في الصراع بين الفرد والمجتمع بين مواقف متفاوتة: فهناك الاغتراب وهناك الثورة على المجتمع، وهناك التأقلم بالمناخ الاجتماعي وهناك العزلة عن المجتمع. فالاغتراب يتم في داخل المجتمع، والثورة هي اصطدام بالنقائص التي يعاني منها المجتمع وهي ليست محاولة لتحطيمه بل لتنبيهه وتطويره على نحو يحقق الانسجام الاجتماعي، والتأقلم الاجتماعي قد يتأتى عن طريق الايمان المطلق بالواجب اتجاه جماعة او حزب.

بالنسبة للقضية الثانية – صراع الطبقات – فانها تحقق مفهوم الالتزام اكثر مما تحققه القضية الاولى، وان كانت درجات الالتزام يتفاوت التيارات الثورية في الشعر: التيار الماركسي، التيار السريالي والتيار الوجودي. فاصحاب المادية التاريخية يتحدثون ببساطة وعفوية الى الجماهير لانهم يرون ان الشعر فعال في تنبيه الوعي والدفع نحو الثورة، واصحاب الاتجاه السريالي يرون – كما يرى ادونيس – ان ذلك اللون من الشعر ليس ثوريا، وانه يخون قضية الشعر الصحيح، اذ الشعر الصحيح "تحويل ابداعي للغة مدّ للتحويل الابداعي بالعمل"، وان دور الشاعر هو "ان ينقض باللغة الثورية بنية الحياة الشعرية الماضية".

وبالرغم من صعوبة تتبع الاثار التي تركها كل اتجاه، الا انه يمكن القول ان علاقة الشعر المعاصر بالثورة (ماركسية، سريالية او وجودية) قد عملت انفتاحا كبيرا على مشكلات الانسان، وبالرغم من التفاوت بين هذه الاتجاهات الا انها تنبني جميعا على اصل مشترك هو "الدفاع عن انسانية الانسان".

صدر عن دار الكاتب

الاممية الشيوعية وفلسطين
د. ماهر الشريف

•

البندري واللعبة
قصص للأطفال
محمود شقير

•

Digitized by Birzeit University Library

من تاريخ العائلات الفلسطينية

بني زيد وابو غوش وبني سمحان

بقلم موسى علوش

(١) آل سمحان اصلهم من الحجاز "١" من ذرية اسماعيل الرغلول نزلوا في الزقازيق وعرفوا بابي سمحان ولهم اقارب هناك وقد اقطعوا القسم الشمالي من جبل القدس الا انهم ارتبطوا بنابلس حزبيا، وقد اختاروا موقعا مهما مرتفعا يعرف برأس كركر وبنوا عليه حصنهم فعرف بعد ذلك برأس ابن سمحان وسمي راس كركر في عهد الانتداب.

وقد انتمي آل سمحان الى صف القيس ودخوا في صراعات مع صف اليمن ومنهم ابي غوش، كما كانت هناك زعامات اخرى تنافس بني سمحان ومن هذه الزعامات دار قراجا في دير بزيع وآل البزار في بيتللو.

(٢) آل ابو غوش يقال انهم مماليك شراكة "٣" ويقال ايضا انهم عم البطاينة شيوخ بني جهمة في قضاء اربد عهد اليهم السلطان سليم العثماني بحراسة الطريق بين القدس ويافا لقاء جعل بسيط يأخذونه من حجاج النصارى وبالتدريج تمركزوا وادعوا اليمنية فانضوت تحت لوائهم العشائر اليمنية في جبل القدس وهي الخطيب والكسواني واللحام والبيتوني وبنو حمار وقد حمدوا بين قيسيه الجبال الثلاثة نابلس والقدس والخليل. وكانوا يفوزون في معظم الاحيان بتاييد متسلمي القدس وحكام المناطق.

(٣) البراغثة اصلهم من المغرب "٣" قدموا في بداية القرن السادس عشر. وبما انه من المؤكد ان البراغثة الذين ينتسبون الى جدهم برغوث من الغساسنة فاننا نستنتج ان موطنهم الاصلي هو دير غسانة وانهم رحلوا في فترة من الفترات بعد الاحتلال الفارسي الى المغرب.

تجمع البراغثة في دير غسانة وانطلقوا منها على فترات فسكنوا عابود وكوبر ودير ابو مشعل وكفر عين وبيت ريما وسيطروا على مناطق كبيرة في القرى السابقة بالعنف. وجعل البراغثة لهم حصنا في دير غسانة وكان من زعمائهم صالح العبد الجابر وكان ينافسهم على الزعامة آل سحويل في عبوين.

معركة رأس الطاحونة بالبيرة

نزل الشيخ سمحان والي الشام واحضر

Digitized by Birzeit University Library

"بلدرى" اى ورقة تعيين على بني حارث واصبح شيخا للقيس (٤) ، فانقسمت بني حارث شمالا وقبالا وصارت بني حارث الشمالية تابعة للشيخ سمحان وبني حارث القبلية تابعة لدار قراجا.

وقد حدث ان طلب محمد اغا ابو نبوت (٥) متسلم يافا وغزة في الفترة من سنة ١٨٠٥ – ١٨١٨ من السعيد بن سمحان ان يحضر الى القدس فرفض لان ابا نبوت كان يميل الى صف اليمن فاستعان ابو نبوت بابي غوش للقهر القيس فاخرج العرضي من القدس ومعه جموع اليمن ونزلوا بالبيرة.

وجهز السعيد بن سمحان جيشا من القيس وذهبوا الى البيرة وتحصنوا في شونة راس الطاحونة وكان عددهم يقدر بمائتين وخمسين بواردييا. وهجم العرضي على شونة الطاحونة وحدث تبادل اطلاق النار فقتل الهجوم، وهجم مرة اخرى فقتل حامل البيرق وخلق كثير. وفي المرة الثالثة تجدد الهجوم وكان الرجال في الشونة قد فرغوا الذهاب على عباءة احدهم حتى لا يتاخروا في تعمير بنادقهم فاشتعل كحل البارود بالعباءة فراى المهاجمون النار فاستمروا في هجومهم حتى اجهزوا على صف القيس فذبحوهم ذبح الاغنام.

وبعد هجوم الدولة على راس الطاحونة وقع الخوف في صفوف القيس (بني سمحان والعرانكة والبزار) فعملوا جمعية من كبار صف القيس واتفقوا على راي واحد وهو ان يدافعوا عن انفسهم الى آخر رمق. وتجددت فيهم الحماسة فزحزحوا جموع اليمن من كل جانب فخاف ابو غوش وابو نبوت ففتحوا لهم طريقا من الشمال فخرجوا واتفق بعد ذلك ابو نبوت وسعيد بن سمحان على وضع عساكر في رام الله والبيرة وكف القتال وساد الامان في البلاد.

× × × ×

ولما توفي الشيخ سعيد بن سمحان خلفه اخوه اسماعيل وقد حدث نزاع على الزعامة بعد اسماعيل السمحان (٦) وانقسمت بلاد القيس في بني حارث الشمالية الى حزبين احدهما يؤيد عبد اللطيف بن اسماعيل السمحان والاخر يؤيد حسين بن سعيد السمحان، فايد العرانكة سكان بيرزيت عبد اللطيف سمحان لمودتهم لوالده فتقم عليهم حسين السعيد وحاول قتل زعيمهم ناصر بن خليل فقر هاربا واتصل بابراهيم باشا فرفعت على اثر ذلك سيطرة حسين السعيد عن بير بيرزيت واصبح اهلها يخضعون للشيخ مصطفى قراجا في دير ابزيع.

ووشى حسين السعيد بابن عمه عبداللطيف فساله ابراهيم باشا للخدمة العسكرية ورفاه الى رتبة يوزباشي ولبث سنتين فيها ثم هرب الى الاستانة واستمر على رتبته فيها عند الاتراك ولما علم عبد اللطيف سمحان بتقهقر ابراهيم باشا رجع من الاستانة وعينته الدولة العثمانية وكيل متصرف في القدس فوزع البنادق المصرية على اهل البلاد وشرع يطارد اسماعيل باشا قائد الفيلق المصري حتى ادخله حارة يونس سنة ١٨٤١.

وخشي العرانكة من تاخر وصول النجدات اليهم في حالة وقوع عدوان وذلك لبعد دير بزيع عنهم فارتدوا لزعامة دار سمحان مقابل تعهد حسين السعيد بحسن معاملتهم.

وفي سنة ١٨٤٣ عين السلطان عبد المجيد بن محمود، (٧) ، محمد رشيد باشا متسلما للقدس وهذا بدوره نصب زعماء البلاد حكاما على المقاطعات فايد زعامة حسين السعيد علي بني حارث الشمالية فسخط عبد اللطيف بن عمه وانقسمت المقاطعة الى حزبين وكانت الاكثرية الساحقة لي جانب حسين السعيد ومن ضمنهم اهالي بيرزيت فلجا عبد اللطيف الى الحاج مصطفى ابو غوش ودخل في ذمام العصبية اليمنية. ولجا حسين السعيد الى الامير رباح الوحيدي وتطاحن الحزبان الى ان توسط بينهما الشيخ محمد ابو امبارك من سلواد وعبد العزيز ابو العيساوية من المزرعة الشرقية فاخلدوا الى السكينة، ثم استوفى القتال بين الطرفين بعد ان قتل عطية بن سليمان العالم من عين بيرود عبد الفتاح بن سليمان سمحان بدون قصد وكان السعيد بن السمحان قد قتل اخ الشيخ عطية فاعتقد الناس ان عطية اطلق العياد عمدا على السعيد فاخطا واصاب عبد الفتاح. واضطر زعماء العصبية التيسية عبد اللطيف سمحان الى تسليم القاتل فقتله حسين السعيد بضربة سكين في بطنه في مكان شرق الجانية.

واجتمع زعماء البلاد : صالح الحمدان زعيم

Digitized by Birzeit University Library

عشيرة البزار في بيتللو ومصطفى درويش الخواجه زعيم بني حمار وعقدوا الصلح بين الفريقيـــن ولكن ذلك لم يرق للحاج مصطفى ابو غوش فبدا بالقا بذور النميمة والفساد بين الطرفين. فحدث ان ذهب ثلاثة رجال من بيتللو ورجلان من كوبر ورجل يدعى احمد الحاج من بيرزيت الى اللد لكي يبيعوا زيتا لاصحاب المصابن وهم من حزب حسين السعيد وقبل ان يصلوا سبقهم عبدالله اليوسف وهو من كوبر وذهب ليساوم على الزيت ففاجأ البقية امين ابو غوش الى الشرق من اللد ومعه شردمة من رجاله فذبحهم ذبح الانعام. ورجع عبدالله اليوسف فاخبر قومه بما حدث فثارت ثائرة حزب حسين السعيد فهجموا على خربثا ونكلوا في بني حمار وكان اهل بيرزيت في مقدمة المهاجمين.

وانضم الصعائدة في المزرعة الى حزب عبد اللطيف وجمع شريتح الحاج علي خمسين رجلا من حملة البنادق واحتل قرية ابو اشخيدم ووضع الحرس في شونتها، واستمال مصطفى ابو غوش وعبد اللطيف سمحان اهالي رام‌الله وارسلوا عبد القادر الكسواني وثلاثين مسلحا من رجاله الى عليه زيادة آل منصور. وثلاثين آخرين من قرية الجيب في علية عيسى سلامة. وكان اهالي رام‌الله يقدمون لهم الطعام فيرفضونه اذا لم يجيبهم فسئم اهالي رام‌الله هذه المعاملة وندموا على انضمامهم الى حزب عبد اللطيف.

وأوفدت البلدة الشيخ عيسى ابو مصلح (٨) الى الشيخ الوحيدى في جبل الخليل طالبا النجدة من القيسية في هذه المنطقة فلبى الوحيدى طلبهم وتوجه الى الرملة ومنها الى راس كركر حيث حل ضيفا على الشيخ حسين السعيد. وفي ذلك الوقت ذهب موسى ابن ناصر وحنا ابن عبدالله القسيس من بيرزيت الى الشيخ حسين السعيد واخبروه بعزيمة الشيخ شريتح فوعدهما خيرا وصادف وجودهم هناك وصول رباح الوحيدى وسالم الصويتي وزعماء جبل الخليل فزحفوا على ابو اشخيدم وانضم اليهم اهل بير زيت فاستسلم شريتح الحاج علي تحت حماية زعماء الخليل. وتوجهت الجموع الى رام‌الله وقتحوا بنادقهم وكان اهل رام‌الله يحشون بنادقهم بالبارود دون رصال ويطلقونها في الهواء فاصبحت البلدة شعلة من النار في تلك الليلة المظلمة. ونزل عبد القادر الكسواني ورجاله في حماية زعما جبل الخليل. واعتذر شيوخ رام‌الله عيسى ابو مصلح ويوسف حرب وعيسى سلامة وزيادة منصور انهم ارغموا الى الانضمام الى حزب عبد اللطيف بتحريض مصطفى ابو غوش.

وجمع الشيخ مصطفى ابو غوش جمعا من القرى اليمنية وتمركزوا في بيتونيا استعدادا للهجوم ثانية على رام‌الله فدب الرعب في الاهالي واستنجدوا بدير الروم في القدس فجاء البطريرك كيرلوس الى رام‌الله ومنها ذهب الى بيتونيا ومعه مشايخ القرى المحاورة وطلب من الشيخ مصطفى ابو غوش ان يعدل عن الهجـــوم على البلدة ويعقد صلحا وتعهد البطريرك بدفع ما يطلبه المحكومون من اهالي رام‌الله غير ان الشيخ مصطفى اجاب البطريرك قائلا: يا معلـم انا لا اتراجع عن البلدة التي قتل فيها طـه لازم آخذ بثاري. وقفل البطريرك راجعا ومن معه من الشيوخ القيسية، وقرروا الدفاع عن انفسهـم

وهجم ابو غوش على رام‌الله واحتل حي الشقرة. وعلية زيادة والتحم الجمعان وكانت طلقات البنادق اشبه بقصف الرعود فقتل في تلك الموقعةاثنان وعشرين رجلا من العصبية اليمانية وارتد الحاج مصطفى ابو غوش الى بيتونيا.

وعقد الصلح بين حسين السعيد وعبد اللطيف السمحان للمرة الثالثة غير ان الحاج مصطفى ابو غوش حشد جموعه البالغ عددهـــا خمسة آلاف مقاتل في قرية شقبا فاستعدت جمـوع القيس في شبتين ومن ضمنهم اهالي بيرزيت ونشب القتال فقتل من رجال العصبية اليمانيـــة ثمانية اشخاص ومن رجال العصبية القيسية رجلين من جفنا وآخر من بيتللو.

وانتصر الصادق زعيم نصف مقاطعة جماعين "٩" وهو من عشيرة الريان ومن العصبية اليمانية للحاج مصطفى ابو غوش. وانتصر احمد بن قاسـم للشيخ حسين السعيد. وجمع الحاج مصطفى ابو غوش جموعه في كفر نعمه لمهاجمة الجانية فلجأ الشيخ حسين السعيد الى مصطفى بك السعيد متسلم القدس سنة ١٨٣٦ فخرج هذا بسرية قوامها

Digitized by Birzeit University Library

ثلاثمائة وخمسون جنديا ومعهم مدفعان فاجتمع بالحاج مصطفى ونهاه عن مهاجمة الجانية فادعى انه يريد دخولها ليهادن الشيخ حسين فذهب بجموعه الى الجانية ومعه مصطفى بيك السعيد وجموعه وهجم على القرية فنهبوا البيوت وفر اهلها لانهم ظنوا ان الحكومة جاءت لنصرة الحاج ابو غوش. وظفر الحاج مصطفى بعبد الغني سمحان فذبحه ولم تنقطع موارد عنقه فعاش وزحف الحاج مصطفى الى رام‌الله والبيرة وابوقش وجفنا وابو شخيدم والمزرعة الغربية واحتل خصونها. وارسل اهالي جفنا ليحتلوا بيرزيت باسم العصبيةاليمانية فتحصن اهلها وطردوهم على اعقابهم.

وواصل الشيخ الصادق زحفه الى بني زيد فاحتل عبوين وعطاره وعجول والمزارع ودير غسانة وهدم دار موسى يوسف سحويل وكان هذا في القدس فشكاه لمصطفى بك السعيد متسلم القدس فخرج بقوة عسكرية قوامها خمسماية جندي مسلح فاجتاز بيرزيت وانضم رجال الحرب فيها الى جموع القيس التي يقودها حسين السعيد في معية جنود الحكومة ونشبت الحرب في قرية عطارة فكسروا جموع الصادق واحتلوا عارورة والمزارع ونهبوا عشيرة دار ابو خصيب وعشيرتي ابن زين والفقيس ووصلت جموع القيس الى قرية قراوة فسلمت لهم بلا قتال وتوجهوا الى كفر عين فلجا اهلها الى القرار فاحتلوها ونهبوها.

ولما انتهت جموع القيس الى قرية زيتا الجماعين في اثر رجال العصبية اليمنية وصلت النجدة الى هذه العصبية من عرب الشراويين ومعهم الف فارس من عرب الصفر فهزموا رجال العصبية القيسية (١١). ولما علم مصطفى بك السعيد بانخذال جموع القيس انتصر لهم وحارب جموع عرب الشعراوية وتغلب عليهم وصار رجال العصبية القيسية يطاردونهم فامعنوا في قتالهم وجمعوا اربعماية وخمسين راسا من الروؤس.

× × × ×

نهاية مصطفى ابو غوش وارتفاع نجم حسين السعيد:

عندما رأى محمد باشا القبرصلي متسلم القدس سنة ١٨٤٥ استبداد مصطفى ابو غوش استدعاه فدخل عليه مدججا بالسلاح وجلس امامه وفوهة قرابينته موجهة نحوه بدون خشية او احترام وراى منه جراة لم يرها من غيره فصمم على كسر انفه واستشار في ذلك احمد اغا الدسدار الذي كان متسلما للقدس سنة ١٨٣٩ — ١٨٤٠ وعبدالله افندي ومحمد درويس فاشاروا عليه بان ياخذ برأي حسين السعيد فاستدعى القبرصلي حسين السعيد فلبى طلبه وكان معه ما نتا رجل من رام‌الله والبيرة وبيرزيت من حملة البنادق وتوجه الى المتصرف فاستشاره فاشار عليه ان يلاطفه ويقربه اليه حتى يتم له قمع ثورة جبل الخليل وبلاد غزة. فاستدعى القبرصلي الحاج مصطفى وانعم عليه بلباس رسمي وفرس من جياد الخليل وسماه شيخ المشايخ وفوض اليه جمع اموال الحكومة ومن ثم شرع في تدويخ البلاد الثائرة فاستولى على مدينة الخليل بعد خمسة عشر يوما ودان له جبل الخليل برمته وتوجه بعساكره الى غزة فقدم عربانها له الطاعة واستراحت الحكومة وامنت شر المارقين عليها وعاد المتصرف بجنوده وضرب خيامه بقرب الرملة واستدعى اليه زعماء جبل المقدس وجبل نابلس وحضهم على الطاعة للدولة العثمانية، ثم استدعى الحاج مصطفى ابو غوش واخذه على غره وقيده بالحديد وارسل الى الاردن وسجن بقلعتها ونفى زعماء جبل الخليل الى طرابزون، ووثق بحسين السعيد فقربه اليه وصار الحل والربط بيده.

تعيين حسين السعيد متسلما للقدس:

عين متصرف القدس حسين السعيد متسلما للقدس وقضاها وعبد اللطيف السمحان ابن عمه زعيما لمقاطعة بني حارث الشمالية وكان يعاونه في ذلك اسعد السعيد اخ حسين السعيد. وحضر عبد اللطيف سمحان الى بيرزيت وفرض على اهلها خمسة وثلاثين جرة زيت نقودا لفرسه التي اشتراها فرفضوا الدفع وطردوه.

وتآمر عبد اللطيف سمحان على اسعد السعيد لكي يشتغل بالزعامة فانتدب لقتله رجلين من عين قينيا فكمنا له في الراس الواقع قرب قريتهما ولما اجتاز عنهما وكان ذاهبا من اللد الى القدس لتسليم الاموال للخزينة، اطلقا العيار عليه وقتلاه واخذا سلاحه وكان معه رجل من اقاربه ففر وجاء الى الجانية واخبر اهلها فهجم رجال

Digitized by Birzeit University Library

العصبية القيسية في الجانية على قرية عين قينيا فحرقوا بيادرها وهدموا بيوتها.

وبعد خروج الحاج مصطفى ابو غوش من السجن بالمثنى بوساطة البطريرك وصالح حسين السعيد حاكم اللد وناحيتها، وبعد سنتين دعا حسين السعيد الحاج ابو غوش واقاربه الى عرس ولديه وحضر العرس وجوه البلاد، وكان من بيرزيت خمسة عشر رجلا. ووقف المنادي يعلن اسم كل بلد ونقوطها فبالغ في تعيين مقدار النقوط بايعاز حسين السعيد فسخط رؤساء عشائر بني حارث الشمالية بتحريض عبد اللطيف سمحان ومنهم صالح الحمدان زعيم عشيرة البزار في بيتللو وبدأت الحرب بين حزب حسين السعيد وصالح الحمدان فاستنجد حسين السعيد بالوحيدي وكان حسين السعيد قد اعتزل وظيفته كمتسلم للد وشرع ينافس ابن عمه عبد اللطيف على الزعامة لكره الغلبة كانت لحزب عبد اللطيف وصالح الحمدان وكان عبد اللطيف ناقما على اهل بيرزيت فحدث ان ذهب ثلاثون رجلا من بيرزيت لاستلام عروس لشاب يسمى محمد بن حسن فاستقبلهم ذوو العروس فخرج موسى بن سليمان العرنكي لقضاء حاجته بعد العشاء فاطلق عليه احدهم رصاصة فوقع يتخبط بدمه فاتهم اقاربه رجال حزب عبد اللطيف بقتله.

مقتل عبد اللطيف سمحان:

قتل الحاج عبد الله النشاشيبي وهو تاجر كان يعامل اهل بيتللو في دار محمد حمدان من الدراوشة فاوعز حسين السعيد الى حيدر سليمان وهو اخوه بان يقتل عبدالله كان بسعاية عبداللطيف فاشتكى عليه فذهب الى القدس ولما دخل مصبنة سليمان المذكور ثار واقاربه على عبد اللطيف فضربوه بالعصي ضربا .برحا فهرب نحو سراي الحكومة وما كاد يصل حتى قضوا عليه. وتحقق سليمان النشاشيبي بعد ذلك ان عبد اللطيف السمحان كان بريئا من دم اخيه فسعى في اخراج محمود سمحان من السجن فاخلي سبيله.

واستبد حسين السعيد بحزب عبد اللطيف بعد قتله وباهالي بير زيت. ورفض معظم اهالي البلدة ان يدفعوا نقوطا لفرسه فاستاجار خضر ابو عواد بصالح الحمدان واشتكى نصارى البلدة على حسين السعيد لمتصرف القدس بواسطة دير الروم فاصدر امره اليه بنهاه فيه عن دخول بير زيت وعن التعرض لخضر واحمد عواد المذكورين ثم جاء صالح الحمدان فعقد صلحا بين اهالي البلدة الذين ايدوا حسين السعيد فدفعوا نصف ليرة نقوطا لفرسه وبين الذين رفضوا الدفع.

وبعد خروج محمود سمحان من السجن توسط له سليمان النشاشيبي لدى متصرف القدس فاصدر امرا في مشاطرة الزعامة بينه وبين حسين السعيد فدخلت بير زيت تحت زعامة محمود سمحان فرفض الطاعة له سلمو البلدة وارتاح اليه نصاراها ثم اخلدوا للطاعة في النهاية جميعهم.

وبعد سنتين عقد الصلح العمومي بين حسين السعيد ومحمود سمحان فاتفق الطرفان على هدر دماء المقتولين في المعارك الحزبية اما الذين قتلوا غدرا فتدفع فدية دمائهم ووزعوا الفدية على مقاطعة بني حارث الشمالية فلحق كل بلد مائة وخمون جرة زيت. وكان موسى العرنكي الذي قتل في الجانية من جملة المقتولين غدرا فلم يقسم له وزن ولا حساب فابى اهالي بيرزيت دفع المبلغ المفروض عليهم فراق ذلك حسين السعيد لكي يحمل محمود سمحان على معاداتهم وحاول صالح الحمدان اقناع اهالي بيرزيت بالدخول في الصلح فرفضوا فاتفق حسين السعيد ومحمود سمحان على معاداة اهل بيرزيت. وحدث ان جاء من القدس امباشي بصحبة سليمان سمحان لاجل تحصيل بواقي الاموال الاميرية وحلوا في مضافة دار عواد وكان امام المضافة حفلا لاحد النصارى فامر الامباشي المذكور عبد القادر ابو علي ان يحصد من شعير الحقل ويقدم علفا للخيل فرفض فضربه الامباشي فانتصر له قاسم ابو قرواش ويعقوب ابو وردة واشبعا الامباشي ضربا ولكما وعاد الى الجانية واخبر الشيخ محمود بذلك فجهز مئة رجل مدججين بالسلاح وقادهم الى بيرزيت وكان معه الامباشي الذي ضرب والشيخ سمحان السعيد وثمانية جنود وختموا بيوت عبد القادر ابو علي وقاسم ابو قرواش ويعقوب ابو وردة. وعند الصباح صمموا

Digitized by Birzeit University Library

على احتلال ثورة بيريت نكي يرغموا اهلها على دفع الاتاوة وخمسين جرة زيت فاحتلوها وعيثوا بحراستها حتى ثار اهالي سمرة وعثمان ابي الحسنا فتخلصوا فيها وعاد الرعما والاوباش ورجالهم الى الجانية .

وتحالف نصارى وسلمو بيرزيت ضد دار سمحان واسلوا عريضة لمتصرف القدس تتضمن كل ما فعله هولا في القرية وبعثوا مضبطة اخرى مع خليل الصايج الى البطريرك كيرلس بواقعة الحال فاستصدر ترجمان دير الروم امرا مع المتصرف لرعما دار سمحان بانزال الحرس من الثورة فرفض الشيخ محمود سمحان وبعث جوابا فاخذه موسى ابو ناصر من الرسول محمد آغا ورشا البلكباش حسين القواس ريالا واحدا فتواطا معه على انزال المحتلين من الثورة وقرا عليهم جواب الشيخ محمود معكوسا فتركوا الحراسة وذهبوا الى الجانية فعلم الشيخ محمود بالمكيدة فغضب اشد الغضب . وخشي اهالي بيرزيت نقمة آل سمحان فتولى اربعون رجلا منهم حراسة البلدة ليلا ونهارا بالمناوبة . وصمم الشيخ محمود على مهاجمة بيرزيت ، وتدميرها فحشد رجاله من الجانية والراس وتوجه بهم نحو المزرعة وكان الشيخ صالح الحمدان ضيفا فيها ومعه احمد ابو الشيخ طه فبذلا جهودهما في اقناع الشيخ محمود ان لا يخاطر بمهاجمة بيرزيت فلم يقتنع فرافقاه الى قرية ابو اشخيدم ونشط كل من صالح الحمدان وحسين على الشملة وشريح الحاج على في محاولة الصلح مع اهل بيرزيت على شرط تسليم الثورة لحراس الشيخ محمود وان يدفعوا الف وخمسماية قرش جزاء ١٠ لتنزيلهم منها بطريقة الاحتيال فرفضوا هذا الاقتراح واندلع القتال الى نصف الليل ولما كف القتال بات الشيخ محمود في جفنا واستانف القتال في اليوم التالي واستمرت المعركة ستة ايام استنجد خلالها ابراهيم بن عبد الله القسيس باخواله عائلة الفرحية في بيت لحم . فامدوه بماية بندقية ودخيرتها وتجمهر الكثيرون من رجال القيس الذين لم يشتركوا في المعركة وتوسطوا بالصلح على ان تسلم ثورة بيرزيت الى عشيرة دار حامد من سلواد . فوافق الفريقان وعقدوا الهدنة وشرعوا بالصلح فاقترح حمد ابو زغرة على اهالي بيرزيت مهلة ليستدينوا المبلغ من تجار القدس فاشتكوا للبطريرك كيرلس فاستصدر امرا من المتصرفية بتنزيل العراقيين من الثورة فرفض حمد ابو زغرة ولما راجعوا البطريرك توسط لدى المتصرف الذي طلب من حسين السعيد مقابلة وكيل البطريرك في جفنا . وكان اهل بيرزيت قد ارسلوا شكوى الى عشيرة دار حامد ضد زعيمهم حمد ابي زغره فاعتذروا عما بدر منه وطلبوا من اهالي بيرزيت ان يدفعوا للمحافظين في الثورة اجرتهم ونزلوهم من الثورة فدفعوا لهم ستين ريالا اجرة خمسة عشر يوما وانزلوهم من الثورة وطردوا حمد ابي زغره .

وعقد الوكيل البطريركي الصلح بين حسين السعيد واهالي بيرزيت ولكن اهالي بيرزيت ظلوا متيقظين فجعلوا حراسا منهم حول القرية وعلى البيادر في وقت الضراسة وفي تلك الفترة قتل خليل الكيلة سينما كان نائما على بيدره واولاده في حضنه وثبت بعد ذلك ان مقتله كان بسعاية حسين السعيد .

نهاية الحروب : وفي عهد ترتيبات متصرف القدس حدث خلاف بين عشيرة دار حامد وعشيرة دار حمّاد في سلواد فانضم الى عشيرة دار حامد الشيخ حسين السعيد واهالي دير ديوان ويبرود والشيخ موسى سحويل . وانتصر الشيخ صالح عبد الجابر البرغوثي شيخ ديـر غسانة لعشيرة دار حماد نكاية بموسى سحويل وانضم اهالي بيرزيت والمزرعة الشرقية وعين سينيا وسنجل وترمسعيا وخربة ابو فلاح الى حزب دار حمّاد ونشب القتال فيما بين الفريقيـن من عيون الحرامية الى عين يبرود وكانت شدة الحرب في يبرود وقتل من الطرفين عشرون رجلا ومن جملتهم مصطفى بن حمد ابي زغرة . وحضر الى المنطقة ثريابات متصرف القدس فخاف زعماء جبل القدس على انفسهم من سطوته فهدأت الحرب وكانت هذه آخر الحروب المحلية .

وعينت الدولة زعماء البلاد مديرين لمقاطعاتهم وصار الامر والنهي والعزل والتوظيف في يد الحكومة فرتبت المحاكم وصارت الاحكام محصورة في المدن ، وكان ذلك حوالي سنة ١٨٧٣

المصادر والمراجع والشروح :ـ

١) تاريخ جبل نابلس والبلقاء ـ احوال عهد

Digitized by Birzeit University Library

الاقطاع ، احسان النمر – مطبعة ابن زيدون دمشق ١٩٣٨ صفحة ٤٠٤.
٢) المفصل في تاريخ القدس الجزء الاول مكتبة الاندلس صفحة ٢٨٠ عارف العارف .
٣) نايف الصالح البرغوثي من سكان البيرة.
٤) مخطوطة كتبها موسى بن ناصر بن خليل عام ١٩٠٤ توفي عام ١٩٠٩ مخطوطة للمعلم شحادة الخوري ابراهيم من بيرزيت. توفي عام ١٩٣٩ .
٥) محاضرات في تاريخ العرب والاسلام صفحة ١٥٤ دكتور عبد السلام الطيباوي .
٦) مخطوطة كتبها موسى بن ناصر بن خليل من بيرزيت عام ١٩٠٤ .
٧) المفصل في تاريخ القدس جدول باسماء متسلمي القدس من صفحة ٢٢١ – ٢٣١ .
٨) تاريخ رام الله – يوسف جريس قدورة، صفحة ٣٢.
٩) الصادق هو زعيم آل الريان العثمان الذين انتقلوا الى الجبهة الغربية من جماعين وسكنوا في مجدل يابا . ولما ثار آل القاسم على ابراهيم باشا اصبحوا شيوخا على جماعين كلها.
ورد ذلك في تاريخ جبل نابلس والبلقاء – حوادث عهد الاقطاع صفحة ٢٧٧ – ٢٧٨ احسان النمر.
١٠) آل سحويل هم ابطال صف القيس ومن اعرف عشائر جبل القدس وقد ظهر منهم ابطال في حروب الفرنسيس والثورة على موسى بك والحرب الاهلية في نابلس، وهم يسكنون عبوين من قضاء رام الله ولهم هناك حصن كبير ، وكانوا سوطا على البراغثة – تاريخ جبل نابلس والبلقاء الجزء الثاني صفحة ٤٠٧ .
١١) ينسبهم بعض المؤرخين الى المقداد بن اسود الكندى الحضرى وهم يقسمون الى حفر وشاهين ومقداد ثم انضم اليهم السردية والمهادوه وحالفوا عباد في البلقاء والهنادى في فلسطين ومنازلهم في سهول بيسان وغوره ومن امراء عرب الصقر الامير قعدان والامير فايز.
– تاريخ جبل نابلس والبلقاء – حوادث عهد الاقطاع صفحة ١٢٦ .
– عكا بين الماضي والحاضر – فايز الكردى صفحة ٦٨.
١٢) محمود اسعد عبد الله – سردا.
١٣) تاريخ فلسطين – عمر الصالح البرغوثي صفحة ٢٣٧ ، مطبعة بيت المقدس سنة ١٩٢٣.

كلمة من المحرر

لقد بذل الاستاذ موسى علوش جهدا كبيرا في تغطية جانب من الاحداث المتعلقة بتاريخ الشعب الفلسطيني.. ولا يقلل من قيمة هذا الجهد ان بعض من تصفحوا الجزء الاول اعترضوا على دقة بعض الاحداث..

والملاحظ انه لم يكن لدى المؤلف منهجا في علم التاريخ يكشف بواسطته عن المحركات الاساسية التي تقف وراء الاحداث التي وردت في المقال.

وعلى اية حال فان باب الاجتهاد مفتوح امام القراء بعد نشر القسم الثاني من المقال في العدد القادم

Digitized by Birzeit University Library

الإسلام والنضال السياسي

تحاول واشنطن والادارة الامريكية وبدون توقف ايهام الحكومات الاسلامية وكأن الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين هم اصدق اصدقاء هذه الحكومات، وكأنهم المدافعين عن الاسلام وحماته ، ومما يرجح ان القائمين على هذه الدعاية يظنون أن الشعوب مصابة بداء النسيان وكأن جماهير المسلمين في العالم قد نسيت دروس التاريخ عبر العشرات بل المئات من السنين المنصرمة التي تزخر باعمال الامبرياليين البشعة في بلادهم . وبعودتنا الى التاريخ الذي يذكرنا في كل صفحة من صفحاته ان كل دولة اسلامية حاولت التحرر من السيادة الاستعمارية لتأخذ على عاتقها تسيير منتوجاتها الطبيعية وخاصة البترول فانها كانت تجد الدول الغربية وعلى رأسها أمريكا تطلق التهديد تلو الاخر بل وتستعمل القوة العسكرية لاخضاع مده الدول لرغباتها . ان كل ذلك لمما يولد لدى الشعوب الاسلامية شعور النقمة والعداء العميقين للدول الرأسمالية الامبريالية ويتمثل هذا الشعور بقيام الانفجارات الثورية في هذا البلد او ذاك ، تحت الشعارات الدينية .

ان هذا الشكل ، معقد ومعرض لتغيرات مستمرة ، وان الانظمة الحاكمة في الدول التي يدين سكانها بالديانة الاسلامية هي انظمة تظلل اناسا مختلفين: من مناضلين ضد الرجعية والاقطاعيه حتى المحافظين والرجعيين . كما وان مجتمع اكثرية الدول الاسلامية يضم بين جنبيه اتجاهات مختلفة. ان الفلاحين والبرجوازية الصغيرة في المدن تشكل اغلبية السكان كما وان الشعور الديني لدى الجماهير قوىّ في هذه البلدان . ان الاسلام تاريخيا لا يعنى الطقوس وحسب فقد حدّد جوانب عديدة للحياة الاجتماعية ووضع قوانين لاشكال الملكية الخاصة وخصائص قانونية (حقوقية) وفلسفية وتكوين سياسي وقوانين الجوانب الحياتية والسلوكية والنفسية الاجتماعية.

ان المبادئ الاسلامية تعطي مجالا غنيا لاستغلالها من قبل العديد من التيارات الاجتماعية وكما في الديانات الاخرى كذلك في الاسلام تظهر ايقاعات احدى الاوتار اكثر من غيرها حسب الحقبة التاريخية التي يمر بها المجتمع . ففي القرآن والاحاديث النبوية الكثير من الدعوة لاقامة مجتمع عادل وتخفيف الاستغلال وتحسين وضع الفقراء.

ان فئة المثقفين الثوريين والعمال في الدول الاسلامية تعرفت على اسس المبادئ المتقدمية في عصرنا واعتمدت هذه المبادئ في نضالها مطبقة

Digitized by Birzeit University Library

اياها على واقع مجتمعاتها . ففي بعض البلدان انشات احزاب شيوعية وديمقراطية ثورية وقامت هذه الاحزاب الى جانب الجماهير المؤمنة بالاسلام بالدعوة الى النضال من اجل الاستقلال السياسي وضد الامبريالية والاستعمار . وتحرير الشغيلة من عبء الاستغلال والسير على طريق التطور الاقتصادي والاجتماعي .

ان القوى الديمقراطية الثورية في الجزائر وافغانستان وسوريا واليمن الجنوبية تقوم بتحولات لصالح الجماهير وبدعم غالبيتهم مع مراعاة الجذور العميقة للدين والتقاليد الاسلامية . كما وتقوم الفئات الثورية الوطنية في حركات التحرر الفلسطينية وليبيا بالنضال ضد الامبريالية الاميركية وقد قام الحزب الوطني التقدمي في مصر اى الحزب المعارض لنظام السادات قام بتوحيد صفوفه وضم الى صفوفه العديد من رجالات الدين الاسلامي تحت الشعارات اليسارية . ان اثارة الشعور الديني وتقوية الحركات السياسية بالصبغة الدينية في الدول الاسلامية لها ما يفسرها فمعظم سكان هذه البلدان المرتبطة مع مجتمع ما قبل الرأسمالية في غالبيتهم امميين وترى هذه الغالبية في القوانين الاسلامية حلا معقولا واحيانا الحل الوحيد المعروف لديها لقضاياها الحياتية ..

ان الفلاحين وفقراء المدن والحرفيين والطلاب والعمال والموظفين المطرودين من اعمالهم والعناصر اللامنتمية لطبقة معينة كل هؤلاء من الطبيعي ان يظهروا وبقالب ديني طموحاتهم الاجتماعية والسياسية ولو على شكل احتجاج عنيف ضد الامبريالية والاستعمار الجديد .

وقد كتب لينين يقول " ان اظهار الاحتجاج السياسي في اطار ديني هي ظاهرة طبيعية لكافة الشعوب في مرحلة محددة لتطورها "

ان التدخل الامبريالي والرأسمالي والاستغلال الاستعماري تعنى الدوس على المفاهيم الاخلاقية والسلوكية للشغيلة ، هذه المفاهيم التي صبت في قالب التقاليد الدينية ففي مثل هذه الظروف تجد اعداد كبيرة من سكان الدول النامية في الديانة الاسلامية شكلا من اشكال الاحتجاج ضد الاستغلال المفروض عليها من الخارج بعد طلي هذا الشكل من الحياة بالذهب وزيادة الهوة بين الغنى والفقر

ان الفئات الامية ليست هي الوحيدة التي تناضل وترفض طريقة الحياة الاميركية والاوروبية الغربية وحسب بل يرفضها ايضا جمهور اوسع من الطبقات المثقفة اذ ان اسلوب هذه الحياة اسلوب لدخول الاستعمار لذلك يلجأ قسم من المثقفين وخاصة من البرجوازية الصغيرة والمتوسطة الى دساتير الاسلام محاولين ان يجدوا فيها اجابات على مشاكل العصر ولجعلها سلاحهم في نضالهم من اجل التحرر .

فعلى سبيل المثال قبل سقوط نظام الشاه في ايران وجد وضع ثورى واضح اى ان الطبقات الفوقية لم تستطع التحكم في البلاد ولم ترد الجماهير العيش كالسابق ، ففي هذا الظروف استلمت الادارة الدينية الشيعية القيادة في البلاد ، وهذا يمكن تفسيره بان الادارة الشيعية لم تكن غير مشاركة في الحكم فقط وانما كانت ضد نظام الحكم وتناقضه على عكس ما هو الحال في معظم الدول السنية ، وقد وضع الزعماء الدينيين الايرانيين في صف معارضة نظام الشاه وطبيعته الموالية للاستعمار ذلك لان الشاه كان يحاول القضاء على تاثير هؤلاء الزعماء باستمرار . ان " اصدقاء الاسلام المخلصون" الاميركيين جنبا الى جنب مع الاستخبارات الاسرائيلية قاموا بتدريب بوليس الشاه السرى السافاك الذى قام بزج معارضي النظام في السجون ومن جملتهم رجالات الدين وكذلك اقدم على تعذيب وقتل بعض رجالات الدين وقد كان "هلمر" سفير الولايات المتحدة هو المستشار الخاص للشاه لشؤون الامن .

وفي خضم البحر الثورى في ايران اندمجت فئات اجتماعية كثيرة كحلفاء ضد نظام الشاه وعلى اساس معاداة الامبريالية . وقد حقق قلب النظام مرحلة هامة من العملية الثورية الطويلة والمعقدة ، وفي خلال هذه العملية طرحت الطبقات المختلفة شعاراتها الخاصة مفسرة " العقيدة الاسلامية الحقيقية " كل طبقة على طريقتها الخاصة .

وفي السنوات الاخيرة اخذ تاثير الاسلام

Digitized by Birzeit University Library

ينتشر على مستوى العلاقات بين الدول ، وهذا يرتبط بازدياد دور دول الشرق الاوسط والادنى في تفاقم مشاكل الرأسمالية في مجال الطاقة . ان ازمة الطاقة خلقت وضعا بحيث تركزت اموالا ضخمة في أيدي الطبقات الحاكمة للدول الغنية بالنفط . وفي عدة دول بالمنطقة اقترنت السياسة المعادية للامبريالية بالسياسة الخارجية وحتى السياسة الداخلية وتوجهت ضد الاقطاعيين والبرجوازية الكبيرة في هذه الدول .. ولذا اخذت الانظمة المحافظة بالتفتيش عن وسائل للتنسيق بين مواقفها لتزيد من قوة حربها ضد القوى الديمقراطية الثورية .

وهكذا بعد العدوان الاسرائيلي عام ١٩٦٧ واحتلال القدس العربية ومسجد الاقصى الذي يشكل ثالث اهم مكان روحي للمسلمين اخذت تجرى تغييرات واضحة على سياسة العديد من الدول الاسلامية .

ان العدوان الاسرائيلي الذي يقدم على سياسة الاحتلال والاستعمار الاستيطاني وطرد السكان العرب من اراضيهم فتح جروح الامبريالية التي لم تلتئم بعد في الدول الاسلامية . حتى اكثر العناصر والفئات محافظة في هذه الدول اخذت تفهم الى اى حد تقف الامبريالية الامريكية التي تدعم تل ابيب في معاداة المصالح الوطنية وصارت هذه الفئات تطرح شعارات معادية للامبريالية .

وتقوم هذه الفئات بالتنديد بسياسة واشنطن الداعمة للتطرف الاسرائيلي وموءامرة كامب ديفيد وتدعو الى تحرير الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل ومن ضمنها القدس العربية ومن اجل اعادة الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني وقد خرجت الدول الاسلامية بخلاصة ان الثورة الايرانية كسبت جماهيرية في العالم ليس لانها قضت على الاغتصاب الامريكي لبلادها وحسب بل لانها رفعت شعار النضال ضد الصهيونية التي تعتبرها القوة الضاربة للامبريالية في المنطقة ودعم نضال الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى .

وقد اخذت بعض القيادات الاسلامية التي ترتبط تقليديا بالغرب تعرب في تصريحاتها الرسمية عن شكها وخوفها من حليفها الخطير والمشكوك في دعمه . ان الثورة في ايران وقلب نظام الشاه فيها زادت من مخاوف هؤلاء على مصيرهم . ان التعاون الوثيق بين الشاه والامبريالية الامريكية لم تنقذه من غضب الجماهير بل كان عاملا ومساعدا في ازاحته وليس من المصادفة ان ترفض اغلبية الدول الاسلامية اقتراح امريكا بانشاء مظلة حربية لهم واقامة قواعد امريكية على اراضيها

عن طريق المتاجرة باحداث افغانستان تحاول امريكا والصين توحيد القوى الرجعية في العالم الاسلامي تحت شعار العداء للشيوعية وتوجيه شعور المسلمين في نهر العداء للسوفيات والوقوف امام حركات التحرر التي تقوم في اطار ديني وضد الدول الاشتراكية . وتحاول الدعاية الامبريالية والصينية اظهار وكان الثورة الوطنية الديمقراطية في افغانستان قامت ضد الاسلام والمسلمين على الرغم من ان اعدادا كثيرة من المؤمنين هناك وزجالات الدين جميعا يدعمون السلطة الجديدة .

ان جزءا معينا من رجالات الدين وخاصة اولئك الذين كانوا يرتبطون بطبقة الاقطاعيين المقهورة حاربت ضد الثورة وقد استغل افراد من المنظمات الاسلامية ليكونوا اداة طيعة للامريكيين والصينيين للتدخل في بلادهم . وقد تحولت باكستان الى قاعدة لارسال المرتزقة وللعدوان ضد افغانستان وتمدهم بالسلاح الولايات المتحدة . والصين وتمد السعودية العربية العمليات الافغانية بالمال . ويساهم نظام السادات في اعداد المرتزقة وتدريبهم .. هذا النظام الذي يتباكى على الاسلام بالاقوال اما عمليا فهو ينتقم بحقد من المنظمات الاسلامية في مصر التي تندد بعناقه مع تل ابيب ، وقد جرى تقييم للحملة التي تدعى الدفاع عن الاسلام والتي تشنها واشنطن وبكين بالنسبة لاحداث افغانستان ففي اجتماع وزراء خارجية سوريا جمهورية اليمن الديمقراطية والشعبية والجزائر وليبيا وممثل منظمة التحرير الفلسطينية صرحوا في دمشق بما يلي :

"ان الضجة المصطنعة التي تثيرها الامبريالية الامريكية وبمساهمة اسرائيل والنظام المصري حول الاحداث في ايران وافغانستان تضع امامها هدف ازالة الشعوب العربية والاسلامية عن طريق النضال ضد اعدائها الاساسيين والهائها عن التهديدات

Digitized by Birzeit University Library

الحقيقية اى الاحتلال الاسرائيلي لاراضيها ونسف التضامن العربي والاسلامي وانقاذ مؤامرة كامب ديفيد من الطريق المسدود وابعاد الشعوب العربية عن اصدقائها الحقيقيين وخاصة الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية .

في بداية هذا القرن ظهرت المانيا نفسها كمدافع عن الاسلام مؤملة بذلك السيطرة على الامبراطورية العثمانية وبعد ذلك على الشرقين الادنى والاوسط . اما الان فتحاول الولايات المتحدة ان تلعب نفس الدور محاولة الاعتماد على الرجعية المحلية .

ان الاتحاد السوفياتي كان وسيبقى الصديق الحقيقي لشعوب الشرق . وقد اعرب لينين عن علاقات الدولة السوفياتية مع مسلمي وشعوب الشرق بقوله " يجب ان تكونوا انتم وحدكم مالكي واصحاب بلادكم انكم تملكون كل الحق في ذلك مع العلم ان مصيركم بيدكم وحدكم ". وبعد ثورة اكتوبر العظمى فقد حققت كل شعوب روسيا القيصرية بما في ذلك من تدين منها بالاسلام نجاحات في حل مشاكلها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية . ووصلت في تطورها آفاقا في مستوى المعيشة والاستقرار تمثل في حد ذاتها حلما لمئات الملايين من مسلمي آسيا وافريقيا . واظهارا لاحترام الشعور الديني فان الاتحاد السوفياتي يمد يد الصداقة لكافة المسلمين الذين يناضلون ضد الامبريالية واستغلالها للشعوب من اجل حقهم في تقرير مصيرهم بنفسهم واستقلالهم وتقدمهم الاجتماعي . .

- البرافدا ١٤ نيسان ١٩٨٠

لم أنت بين المرايا

محمد الربيشه

تدخلين الان في رحمي كبذرة عاشقين
كل طفل صار يولد،
ملء فكيه سهام وقصائد
وتروس للمخاض الظلم . .
اعين الحسّاد لم تترك لامّ قابلة
حصوة كانت بداية /
حفنة من ملح،
انه الميلاد تاريخ مخبأ
ومواويل لها بعض الفرائض
تدخلين اليوم سرا في ضلوعي
جئتني بالقمح والطاحون / خبزا
ونداء ،
جئتني بالماء
ثم ارخيت الحديد المنقبض،

Digitized by Birzeit University Library

حول التوحّح ..
اعشق الزبد الذى فضّ الحصون
انّ روح البحر لم تبخل بصارى ،
او بموجة /
شدّني السّتر الذى بين الخلود
انت اخرجت الموانيء ،
من قواميس الجنون
وانبعثت ..
وانتشيت ..
وارتشفت الحبّ رشفا ،
وصعود ..
ليست الاكفان معنى الموت ،
او نضوج البحر معنى للرّحيل ..
ذكّريني في شرايين الهبوب
زمليني في اللّقاء القادم
واحملي عرسي زغاريد الولادة ،
هذه السّاحات لم تغسل بمائي
فاغسليها /
بللّيها بالنّدى المعشوشب الوردىّ
اعطيها حضورى ،
ثم ردّى الضّاع صامتين
وطفلا اخر يأتي لامّه /
بالابوّة ..
جاء في الاسفار عن حقل الامسرة ،
لم تنم في ريش طاووس ولا فوق النعام /
حيث ردّتها المداخل
ثمّ ردّتها المخارج ،
وانكوت بالجائعين ..
هامش بين الضّلالة
ركعة اولى لصارخ ،
رتّل الصبيّان آيات الوصيّة ،
واستردّوا المعصمين /
واستباحوا الدائرة ،
ثم دلوني الصّقور الفاصلة /
بين الطيّور ..
اعرف الموت المعنون ،
من مراميه ارتكاز المقصلة /
وانفراج في انكماشات الحصر ،
لم امت بين المرايا
لم تموتي بانطراحي .
لم تغادرك السّيوف المطمئنّة ..

ذاهب بعد النساء
داخل صمت الوجوم
كي اوارى سوأة الاسوار من طعم الجنازه ،
او اعيد النّار بعد الملحمه
نورس ضمّ النجوم الاقلة /
عائدا من عشّه المحروق فوق الترجس
عاريا من نبت زغبه ،
انّه البرد الذى صدّ الجناح الملتئم
عن ذاته ..
كوّر الريح الجداول
افرد الريح الجدائل
يخرج الاحياء من صلب القرون الموحلة
يصعون التاب لون ثائب ،
فلنلتقى ..
أكره التجويف في قول اللسان
ان هذا البعد لا يملي حقيقة
في الصقيع المنطوى فوق الرماد ..
موصد باب العيون
واجتثائي لا يعيق الزارعين ،
انني الصقت زهرى في الطواف المزمن ،
نحلة تمتص وكرى /
لا تدانيني التحوصل
لن اطيل القبر فوق الجاثمين
لن اخون الذاكرة ،
ان حلمي مثقل بالداء والافلاك
والابحار مرهون بصبرى ..
قدّمي رسم الافاعي المعضلة
انني اعطيك رسما للسّنونو
والمجرات التي ساقت لاشكالي بقايا
لم امت بين المرايا
فانشريني /
ان هذا السّفح قد ملّ التجاور ،
وارفعيني /
ضلّ عنّي الذئب في هذا التحاسر
جئت بالارحام لمّا باعدتني
في المدارات الثقيلة ،
خطوتي تنمو بطول ثم عرض
ابتسامي زاد في حجم المرامي
لم اطاوع في حديثي الانتكاس
ان تطوافي بزلّ الميمنه /
والافتراس ..

Digitized by Birzeit University Library

قنديل نمرة "٢"

قصة سامي كيلاني

الصمت يلف البيت ولا يقطعه سوى شخير مفاجيء لاحد النائمين ، العائلة بكاملها تغط في نوم عميق ، استعرضهم بنظرة ، اجساد ممدودة لا يظهر منها سوى الرؤوس والاقدام التي انكشف عنها الغطاء ، تركز نظره على الاجساد الصغيرة الثلاث التي تتكور تحت لحاف واحد .

عدل جلسته بما يتلاءم مع الوضع الذي اعتاد ان يجلسه اثناء مراجعة دروسة ، ركز مرفقيه الى الحصيرة واسند ذقنه الى راحتيه المتلاصقتين فوق الرسغ، وفرد اصابعه على خديه ، وبدا يقرا الصفحة التي امامه ، لكن الضوء غير كاف . اعتدل بجذعه ولف قنديل الكاز نمرة "٢" الموضوع امامه بحيث اصبح السناج الذي يغطي زجاجة القنديل في الجهة الثانية ، حرك مكنة القنديل لترتفع الفتلة وتزداد الاضاءة الا ان الامر اصبح اكثر سوءا ، فعند ارتفاع الفتلة بدا طرف الزجاجة القريب يكتسي بالسناج ، طرف الفتلة ليس مستقيما به نتوءات والمطلوب قصه بشكل مستقيم ، ارفض الفكرة لان الامر سيحتاج وقتا ، هذا اذا استطاع ان يجد المقص ، ارجع الفتلة ، الى سابق عهدها وادار القنديل الى جهة تمرر الضوء باسطع ما يمكن ، ولم يفكر هذه المرة في الفرق الشاسع بين الكهرباء الموجودة في البيوت القريبة وبين قنديلهم ، ملّ التفكير في هذا الامر فتمديد الكهرباء يحتاج نقودا كما يقول والده، ركز مرفقيه مرة اخرى الى الحصيرة ، وبدا يقرا الصفحة ، بقيت بضع صفحات من مقرر امتحان الغد " اصاب المسلمين قحط شديد في احدى السنوات وكانت لعثمان بن عفان قافلة تجارية عائدة من الشام ". توقف عن القراءة ، ماذا يمكن ان يساله المعلم ، تصور نفسه واقفا في مقعده والاستاذ جالسا على كرسيه خلف الطاولة رغم ثقته بنفسه وحفظه الدروس عن ظهر قلب، الا انه يبقى يتهيب من هذا المعلم الذي يطرح اسئلة لا تخطر في البال ، لكنه في اغلب الاحيان ينجح في الاجابة عليها ، وضع فرضيات للاسئلة التي يمكن ان يطرحها المعلم حول هذا الجزء من الدرس .

ماذا تعني كلمة قحط ؟؟ من هو عثمان بن عفان ؟؟ ما معنى قافلة تجارية ؟؟ لو تجيء

Digitized by Birzeit University Library

الاسئلة من هذا النمط فسيكون مسرورا . تفتحت نفسه اكثر للدراسة ، رغم الضوء الشحيح الساقط على صفحة الكتاب وسط هذه البرجة من الارتياح الداخلي ، سخر من اصحابه الذين يكبرونه عاما في العطلة الصيفية كانوا يحدرونه دوما من صعوبة دروس الرابع . ودخل الصف الرابع ولم يجد لكلامهم اثرا ، تابع قراءة الدرس .. " وعندما وصلت القافلة الى الدينة ، جاء التجار الى عثمان لشراء حمولة القافلة فسالهم ، كم تعطوني مقابل كل درهم فأجابوه ندفع لك خمسة دراهم ..." توقف مرة اخرى عن القراءة وحاول افتراض اسئلة على هذا الجزء من الدرس من عادة المعلم ان يحول دروس القراءة الى درس حساب وفي هذه الحال يقف التلاميذ حيارى، منهم مهيئون لان يسالوا عن معاني الكلمات وان يقرأوا قراءة سليمة ، او ان يطلب منهم فجاة الخروج الى اللوح لفحصهم في الاملاء ، يفعل المعلم ذلك وهو يهز عصاه الخيزران لتنال من كف المخطيء او قفاه اما غدا فلا خيزران ولا ما يحزنون ، الخوف من ذلك الدفتر المستطيل والقلم الاحمر والنقاط الثلاث التي تعلموا انها تعني صفرا ، اذا كان ثمن كيس السكر تسعة دراهم فكم سيدفع التجار ثمنه لسيدنا عثمان ؟ مسالةفي غاية البساطة ، تسعة في خمسة تساوي خمسة واربعين ، تخيل ان الموقف قد حدث فعلا ، وان المعلم قد سرّ لخطاراته وطلب من الصف ان يصفق له . خطط ان يطرح السؤال على التلاميذ الذين ينافسونه على الدرجات الجيدة ، سيقوم بذلك غدا ليرى من منهم يستطيع الاجابة بهذه السرعة تخيلهم لن يجيبوا بسرعة . رغم انه يتفوق عليهم في الدروس الا انه يتذمر دائما بان المعلمين يتحيزون لهم ، حيّره الامر كثيرا الا انه اكتشف السبب ، حين راى والد احدهم يجلس في المقهى مع المعلم، وفي اليوم التالي ظلت حواسه مركزة لرصد معاملة المعلم لهذا الولد دون غيره لاحظ كم كانت كلمات المعلم لطيفة معه وكم مرة طلب المعلم من الاولاد ان يصفقوا لهذا الولد ، قتله الحديث يومها خاصة عندما جاء المعلم بالثناء على منديل الولد ونظافته ، بتحسس ملابسه المرقعة ، ظل طيلة اليوم يغلي من داخله ، وما ان وصل البيت ووجد والده هناك حتى اختلق موضوعا للحديث

فساله : ليش بتقعدش على القهوة ؟ احتار الوالد وتفحصه بنظراته ، ثم تبسم له واخبره بان لا وقت لديه للذهاب الى المقهى فهو يذهب الى العمل من شروق الشمس حتى مغيبها . لكن الجواب لم يكن مقنعا ، ففي ايام كثيرة يقعد والده في البيت دون عمل ، ورغم ذلك لم يشاهده في المقهى مرة واحدة اذن في السبب غير ذلك ، الحقيقة واضحة مثل الشمس لا تقود لدفع ثمن الطلبات ليس عن نفسك فقط بل وعن غيرك اليس هناك طريقة اخرى تجعل والده صديقا للمعلم حتى يحظى بالاهتمام الذي حظي به الولد الاخر، لو ان للاستاذ ارضا يزرعها لاستاجر والده للحصيدة . او لو كان لديه بستان شجر لاستاجره لتقليم الاشجار ثم اسقط المشروع من حسابه فحين كان يذهب مع والده يوم العطل الى العمل ، لم ير صاحب البستان الا لحظات كان يمر فيها لتفقد العمل وبالكاد يقول له "على العافية " انحسرت موجة الارتياح نهائيا واحتلت مكانها موجة غيظ عارم ، قفز عدة سطور في الصفحة التي يقراها "..." ووزع عثمان حمولة القافلة على الفقراء " فقد الرغبة في متابعة القراءة زجاجة القنديل اصطبغ محظمها بالسناج ، واصبح الضوء شحيحا للغاية ، طغى عليه الملل ،نهض حاملا الكتاب ووضعه على الطاولة الموضوعية في ركن البيت بين قنطرتين حجريتين من القناطر التي تحمل السقف ، واعاد القنديل الى الحامل الخشبي المثبت بالحائط ، وخفض الفتيلة حتى صارت الشعلة على وشك الانطفاء ، دس نفسه بين الفرشة المصنوعة من قطع الملابس التي اصبح مستحيلا ترقيعها ، وبين اللحاف المصنوع من "طحين الشرايط" ، حاول النوم .. بقي يحدق في السقف الخشبي المظلم الذي يميل منه التراب كلما تحركت الفئران بداخله وتذكر القصة التي قراها . عثمان بن عفان وزع حمولة القافلة على الفقراء ، صار لدى الفقراء طحين وسكر وزز ... حاول اغماض جفونه لكن النوم ظل بعيدا . " وجه والده السمود عندما رجع قبل فترة خاوي اليدين مع انه اخبرهم بانه ذاهب ليحضر كيس طحين من الدكان الذي يتعاملون معه ، لم يجرؤ على سؤاله عما حدث ، لكنه ظل يحوم حوله وسمع والده يحدث امه .. ما رضي يديتي

Digitized by Birzeit University Library

ولما صرت على الباب سمعته يقول للي عنده، خوفوا التيس جاي بدو كيس طحين دين مش رطل ولا اثنين ، يلعت ابو الزمن ، انا صرت تيس ، الله يرحم ايام ما كان يترجاني احفظه الدرس واحنا صغار ، كان اتيس واحد في الصف ، يلعن ابو المصاري اللي خلته يصير يحرث يحكي ، والله لو ببيع حالي لخلي الاولاد يتعلموا ، يهونها الله فيك يا ابو عبد الله ، تفو على لحيته .. لم يشعر والديه بانه سمع القصة وابتعد عن البيت " كلمات والده ترن في رأسه وتبعد عنه النوم ، نظر الى الجسد الذي يغط في نوم عميق ، ينام مبكرا كالقتيل بعد أن يعود من العمل في الباطون " ابو عبدالله يشبع الناس حديثا عن الاخلاق والدين ولا يحلو له الا الحديث عن الحسنات والسيئات والجنات التي تجرى من تحتها الانهار . ابو عبدالله يطرد والده الذي لا يحمل ثمن كيس طحين رغم انه يوزع الطحين مجانا قبل انتخابات المجلس البلدي ويحمل معه مصحفا ويطلب من الذين ياخذون الطحين ان يقسموا بان ينتخبوه ، ووالده كان يرفض ان ياخذ منه الطحين في هذه المناسبة.

استيقظ مبكرا بعد الساعات القليلة التي سرقها من الارق ، خيوط ضوء الفجر تملأ الفضاء ، تناول القنديل من مكانه ورفع الفتلة واحضر الكتاب وبعد قليل استيقظ والده وجاء اليه ، صبح عليه ومضى الى الخارج يحمل ابريق الوضوء ، اعاد مراجعة بعض الدروس . وصل الدروس التي توقف عندها الليلة الماضية ، دخل الوالد البيت ونداه مضمرتين حتى المرفق ولا زالت مبتلة بالماء ، اقترب منه : شو بتقرا ؟ سمعني .

قرا درس عثمان والتجار وعندما انهاه ، ساله ابوه : ما معنى كلمة قحط ؟ قال لنفسه بسرور : ابوى مثل الاستاذ ، بدات فكرة جديدة تلوب في رأسه لماذا لا يساله ان يحكي له قصته مع صاحب الدكان ، تجرا : ليش ابو عبد الله طردك وما رضي يديّنك ؟؟؟ احتضنه بحنان ابوى : شو عرفك بالقصة ؟؟ اخبره بانه سمعه يحدثها لامه ، جلس الى جانبه وبدا يحدثه عن ايام دراسته وكيف كان متفوقا الا انه خرج من المدرسة لانه جده لم يستطع تدبير القسط واضاف كلهم في الهوى سوى ، ابو عبد الله بدو يخزن مصاري وعثمان فكرك لو دفعوا له القرش حداش بيوزع الاغراض على الفقراء ؟ سمعت عن ابي در ؟ اجاب وقد اذهلته كلمات والده الذي اكتسى وجهه لونا جديدا : ما فيش في القراءة عنه . وضع الوالد سجادة الصلاة التي بقيت مطوية جانبا وانتبه الى ان الوقت اصبح متاخرا ، حديثهما قد استغرق حوالي ساعة ، خيوط النور تدخل من الشباك الشرقي اوصاه مجددا ان ينتبه لدروسه وحمل صرة الاكل التي كانت جاهزة ، وعند عتبة البيت قال له : لما ارجع من الشغل ذكرني احكي لك قصة ابو در ، وخرج من البيت .

فتح الكتاب مجددا وبدا بالدراسة وهو مصمم على ان يحصل على علامات ممتازة.

صدر عن دار الكاتب

عبأني موج البحر وقال

شعر

سميح فرج

Digitized by Birzeit University Library

مبادئ المادية الديالكتيكية

تيسير العاروري
جامعة بيرزيت

تقديم

ان لكل انسان مناظرته العامة للعالم المحيط به ، ومفهومه الشامل للاشياء والظواهر التي يعيش فيها، ومن هذه النظرة ، من هذا المفهوم يتمد سلوكا معينا في حياته ،في علاقاته مع نفسه ومع الاخرين ، وفي صلته مع العالم الخارجي وظواهره. وهذه النظرة الشاملة ليست سوى الفلسفة.

ولكن هل يعني ذلك ان في العالم من الانظمة الفلسفية بمقدار ما فيها من البشر ؟ كلا بالطبع ، وانما هناك فلسفات لكل طبقة اجتماعية ،الهدف منها ان تعبر عن مصالح هذه الطبقة وتدافع عنها، ان للاقطاعيين فلسفتهم وللبرجوازية فلسفتها كما ان للطبقة العاملة وجماهير الشغيلة فلسفتها هي ايضا ،وهي الفلسفة الماركسية اللينينية. ولكن هل كل عامل بتبنى الفلسفة الخاصة بطبقته كمرشد ودليل له في الحياة؟ لو ان الامر كذلك لما كنا بحاجة الى دراسة فلسفة طبقتنا العاملة. ان الامر اعقد من ذلك. فالطبقات الاستغلالية تحاول ان تجعل من ايديولوجيتها ، وبخاصة من فلسفتها ـ فلسفة لكل الشعب . وهي بذلك تحاول ان تصور مصالحها الخاصة وكانها مصلحة كل الامة وكل الطبقات. وهذا الامر يساعدها كثيرا في تعزيز سيطرتها ونفوذها في ذهنية الجماهير ومسلكها. كما تحاول الطبقات الاستغلالية ان تصور الوضع القائم وكانه ابدي وثابت . وناتج عن المشيئة الالهية، وبذلك تثبط عزائم المناضلين من اجل تغيير الوضع القائم لمصلحة الطبقات الاكثر ثورية ، وتصورهم وكانهم اناس متمردون خارجون عن ارادة الله ومحرّمون. ويجرى اليوم وعلى اوسع نطاق الترويج لفلسفات الامبريالية ،والطبقات الرجعية المرتبطة معها، لان عصرنا يشهد صراعا حادّا وعلى النطاق العالمي بين نظامين متناقضين على طول الخط. لكل منهما فلسفته . وكل منهما يعبّر عن مصالح طبقة تعارض الاخرى .

من هنا تنبع الاهمية الخاصة لدراسة الفلسفة ـ الفلسفة الماركسية اللينينية التي تعبر عن مصالح الطبقة العاملة وجماهير الشغيلة . من اجل الدفاع الصحيح عن هذه المصالح ولمواجهة هجوم الفلسفات الرجعية . ولكي تكون هذه الفلسفة دليلا ثوريا وسلاحا في يد الطبقة العاملة وحلفائها في النضال من اجل انجاز التحرر الوطني واعادة بناء مجتمعنا على اسس تقدمية ـ اشتراكية تتفق تماما مع مصالح الطبقة العاملة والكادحين .

هناك زعم قائل بان الافكار الاشتراكية العلمية والفلسفة الماركسية اللينينية هي افكار

Digitized by Birzeit University Library

مستوردة من الخارج وهي تتعارض مع عاداتنا وتقاليدنا واخلاقنا، ولذلك يجب محاربتها ومنعها ومعاقبة المبشرين بها. وواضح ان اصحاب هذا الراى هم ممثلو الطبقات الرجعية الذين يريدون لفكرهم وفلسفتهم وحدهما ان يظلا مسيطرين على ذهن الجماهير. كما يرون في الماركسية وفلسفتها سلاحا خطرا اذا ما تسلحت به الجماهير الكادحة في نضالها. ولكن هل صحيح ان هذه الافكار مستوردة؟

سنرى فيما بعد كيف ان الفلسفة الماركسية نشأت وتطورت بالاستناد الى التقدم العلمي الكبير الذي حققته البشرية في مختلف عصورها، بما في ذلك التقدم في المجال الفلسفي، كما استندت الى التطور الاجتماعي وبخاصة نشأة الطبقة العاملة، فجاءت الماركسية سلاح الفكري لهذه الطبقة، ولقد كان للعرب فضل كبير في مجال تطور العلوم الطبيعية والفلسفية. فلم يتوقف دور العلماء والفلاسفة العرب القدامى عند حد نقل وحفظ علوم وفلسفة اليونان القديمة، وانما اعطوها واضافوا اليها الشيء الكثير. ويكفينا في هذا المجال الاشارة الى الشهادة المشرقة التي اعطاها انجلز (احد واضعي الفلسفة الماركسية) للعرب ودورهم في تقدم العلوم، هذه الشهادة الواردة في اكثر من موضع في مقدمة كتاب "ديالكتيك الطبيعة". كما ان العلامة ابن خلدون كان الرائد الاول من رواد العلوم الاجتماعية والذي حاول تفسير تطور العمران البشري تفسيرا ماديا بالرغم من القصور الذي نراه اليوم في محاولاته تلك والذي يرجع في الاساس الى قصور علوم ومعارف عصره اكثر مما يرجع الى عجز عبقريته الفذة.

ان الذين يكافحون الماركسية ـ اللينينية بدعوى انها افكار مستوردة، يستوردون كل منجزات العلم والتقدم البشري، ولكنهم يرهبون الماركسية لانها سلاح اعدائهم الطبقيين في الداخل. كما انهم بهذه الدعوة الخبيثة انما يسيئون الى الدور التقدمي العظيم الذي قام به الفكر العلمي والفلسفي العربي في هذا الميدان الهام. ولكن هذا لا يهمهم بقدر ما تهمهم مصالحهم الانانية الضيقة. ان من الضروري ان تكون اكذوبة "المبادئ المستوردة" حافزا لرواد الفكر التقدمي والمدافعين عن هذا الفكر في تراثهم العربي للرد بحزم وبالدلائل والشواهد التاريخية على هذه الاكذوبة وتبيان المشاركة الاصيلة والاسهام الغني الذي قدمه هذا الفكر للحضارة البشرية بما فيها الميدان الفلسفي. "موضوع الفلسفة"

ما هو مضمون هذا العالم الذي يحيط بنا؟ وما شكل العلاقة والتأثير المتبادل بين الطبيعة والروح وبين المادة والوعي؟ ما هو الانسان وما هو مكانه في هذا العالم؟ هل لدى الانسان القدرة على معرفة العالم وهل يستطيع تغييره؟ واذا كان الجواب بالايجاب فباى شكل وكيف يكون ذلك؟ ان كل هذه الاسئلة والعديد العديد غيرها مما يشابهها تؤرق الانسان المفكر وضرورة الوصول لاجابة عليها كانت منذ القدم ولا تزال ضرورة لا يمكن استئصالها من الانسان. ان الاجابة على مثل هذه الاسئلة يشكل مضمون مادة الفلسفة وهذا ما يفسر لنا لماذا كانت الفلسفة اولى العلوم التي بحث فيها الانسان بل كانت امًّا لكل العلوم التي نعرفها الان كعلوم منفصلة ومستقلة مثل الرياضيات والفلك والكيمياء والاقتصاد والفيزياء والطب وغيرها.

اى ان هذه العلوم انفصلت عن الفلسفة كعلوم مستقلة في مجرى تطور الفلسفة نفسها وفي مراحل مختلفة من التاريخ. وتبعا لذلك فان موضوع مادة الفلسفة كان يتغير تاريخيا تبعا لتطور مختلف جوانب حياة الانسان الروحية وتطور العلوم والتفكير الفلسفي نفسه.

لقد ولدت الفلسفة مع فجر الحضارات القديمة في الهند والصين ومصر وبلغت شكلها الكلاسيكي لاول مرة لدى اليونان "الاغريق" القدماء. وعنهم ورثت اسمها (كلمة فلسفية يونانية (فيلا صوفيا) ومعناها "حب الحكمة") ان مولد الفلسفة يتطابق تاريخيا مع ظهور بدور المعرفة العلمية وظهور الحاجة للبحث النظري. هكذا تاريخيا اصبحت الفلسفة بالذات اول شكل من اشكال المعرفة النظرية.. وقد اجابت الفلسفة منذ البداية على الاسئلة المطروحة منذ المرحلة التي سبقت ظهور الفلسفة وهي مرحلة ظهور الاديان ـ الميثولوجيا (الاساطير) "الانعكاس الخيالي للواقع" مرحلة الايمان بالارواح الخيالية والالهية. ومن جملة هذه الاسئلة تلك المتعلقة بنشأة العالم ومضمونه. ولكن الاسلوب

Digitized by Birzeit University Library

الذى اتبعته الفلسفة للوصول الى الاجابة على هذه الاسئلة المطروحة كان جديدا. لقد اعتمدت الفلسفة اسلوب التحليل النظرى الذى يتسق والمنطق ونتائج التطبيق العملي .

وهكذا فان الفلسفة فى بداية منشاها كانت تتضمن كل معارف الانسان عن العالم الخارجي . وكان هذا الاتساع في موضوع الفلسفة يتلائم ومستوى معرفة الانسان العلمية في ذلك الوقت . ومع تطور معرفة الانسان للطبيعة والمجتمع تمت تدريجيا عملية تفاضل العلوم . اى انفصالها الواحد تلو الاخر عن الفلسفة والتخصص في مجالات البحث مجردة ومستقلة . وفي الوقت الذى كان يضيق فيه مجال الفلسفة افقيا كانت تتطور عموديا وتزداد عمقا ودقة اكثر فاكثر وذلك بالاعتماد على نجاحات العلوم الخاصة ، وبمعرفة الاساليب والطرق التي ادت الى هذه النجاحات ولكن تطور العلوم الخاصة بيّن ايضا ان هناك العديد من القضايا التي تبحث فيها ليس فقط هذه العلوم وانما الفلسفة ايضا . وبطبيعة الحال فان مثل هذه القضايا يمكن حلها فقط بالقوى والامكانيات المشتركة لهذه العلوم الخاصة والفلسفة معا .

المسألة الاساسية في الفلسفة :

مهما تعددت المدارس والنظريات والاتجاهات الفلسفية كما هو الحال في عصرنا الحالي ، الا انه لا بد لها جميعا سواء كان ذلك بشكل مباشر او غير مباشر من ان يكون منطلقها النظرى الاساسي هو تحديد علاقة الوعي بالوجود (الكينونة) وعلاقة ما هو روحي بما هو مادى . " ان المسالة الاساسية والعظمى لكل فلسفة وعلى الاخص الحديثة منها هو قضية علاقة الفكر بالوجود " (ماركس ـ انجلز المختارات ـ لودفيغ فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية) للمسالة الاساسية وجهان: الوجه الاول وهو تحديد ايهما اول المادة ام الوعي . وهذا يعني هل العالم الخارجي موجود موضوعيا وبشكل مستقل عن الانسان وعن وعيه ام انه غير موجود خارج وعي الانسان وبدون الانسان . وهل العالم من صنع خالق (الله) ام انه موجود منذ الازل

اما الوجه الاخر للمسالة الاساسية في الفلسفة فهو ، ماهي علاقة الفكر بالعالم الخارجي المحيط بالانسان . وامكانية معرفة العالم الخارجي . اى هل العالم الخارجي قابل للمعرفة وهل يستطيع الانسان معرفة العالم الخارجي . وبالتالي هل يستطيع ان يعكسه بشكل صحيح في دماغه ، اى الموقفين هو الصحيح؟على ذلك يجيب المثال التالي

شخص ما ولد فاقدا للحواس الخمس ، اى فاقدا لكل اشكال الصلة الحسية بالعالم الخارجي بطبيعة الحال . هذا الشخص لا يستطيع ان يعي العالم الخارجي او ان يعرفه ، ولكن هل كونه لا يستطيع ان يعرف العالم . ان هذا العالم غير موجود ، والعالم لا شك موجود موضوعيا ، بغض النظر استطاع هذا الشخص " وبالتالي كل البشرية " ادراكه ومعرفته ام لا ، تماما كما ان غالبية النـــاس هنا لا يعرفون شيئا عن الكفازار او النجـــوم النيوترونية (انواع من النجوم اكتشفت حديثا) لا يعنـــي انهـــا غيـــر مـــوجودة او انهـــا وجـــدت لحـــظة اكتشـــافهـــا .

المادية والمثالية :

حسب الموقف من حل المسالة الاساسية في الفلسفة فان الفلاسفة (كل الفلاسفة والمدارس الفلسفية) منقسمون الى معسكرين رئيسين . معسكر المادديين ومعسكر المثاليين . فاولئك الفلاسفـــة الذين يقرون اولية المادة والطبيعة والوجود وثانوية الوعي والفكر يشكلون معسكر المادية . اما اولئك الذين يقدمون الوعي والفكر والروح على المادة والعالم الخارجي والطبيعة وبالتالي الاقرار بهذا الشكل او ذاك بان العالم خلق من قبل اله فانهم يشكلون معسكر المثالية .

وهكذا فان الحد الفاصل بين المعسكرين المتضادين ـ المادية والمثالية ـ هو اختلاف في حل المسالة الاساسية في الفلسفة ـ مسالة علاقة المادة والوعي ـ فتبعا للجواب عليها تحل جميع المسائل النظرية الاخرى . فليس هناك قضية فلسفية لا يتوقف حلها على حل المسالة الاساسية في الفلسفة . ان مبدا المادية الاساسي هو الاعتراف باولية المادة وثانوية الوعي (اى ان المادة وجدت اولا ثم وجد الوعي) ويقول

Digitized by Birzeit University Library

الماديون استنادا الى الممارسة الاجتماعية والى علوم الطبيعة ان الكيان هو الذى يحدد الوعي. وبالعكس من ذلك فان مبدأ المثالية الاساسي هو الاعتراف باولية الوعي وثانوية المادة والكيان.

ان المادية والمثالية معا يشكلان الاتجاهين الرئيسيين في الفلسفة وهما في صراع دائم فيما بينهما. وما تاريخ الفلسفة الا تاريخ ظهور وتطور المادية والمثالية وتاريخ الصراع بينهما.

ويمكن القول بان كلا الاتجاهين وجدا منذ وجدت الفلسفة نفسها، وعلى الرغم من ان مادية القدماء كانت تتصف بالسذاجة والسطحية وعدم اعتمادها على العلوم الدقيقة لان هذه العلوم نفسها كانت في حالتها الجنينية الا ان اسلوب التفكير المادى فيها كان واضحا وجليا.

ان ابرز ممثلي الاتجاه المادى في الفلسفة لدى اليونان القدماء كان طاليس اناكسيماندر، انا كسيمين، ميروطليطيس، ديموقريطيس وابيقور اما ارسطو فكان يتارجح بين المادية والمثالية. في حين كان افلاطون ابرز ممثلي الفلسفة المثالية المادية عند العرب:

ابرز ممثلي الفلسفة المادية عند العرب كان ابن رشد وابن سينا، لقد طور ابن رشد (١١٢٦ — ١١٩٨) الجوانب المادية في فلسفة ارسطو، واثبت ازلية الروح والحياة الاخرى. بالاضافة الى ذلك فان ابن رشد وضع اسس مقوله الحقيقة المزدوجة الفلسفية ومضمونها ان في الفلسفة حقائق تتناقض والدين وبالعكس فان في الدين حقائق تتناقض والفلسفة.

الحقائق الفلسفية والدينية مستقلة بعضها عن البعض وبالتالي هناك امكانية موضوعية لوجود تناقضات فيما بينهما.

كما ان ابن رشد انتقد بشدة وفند تعاليم الغزالي الصوفية وله الفضل الكبير في تعريف الفلاسفة الاوروبيين بالفلسفة القديمة

اما ابن سينا (٩٨٠ — ١٠٣٧) فبالاضافة الى دوره الكبير في تعريف العرب والاوروبيين بالفلسفة اليونانية القديمة وبشكل خاص فلسفة ارسطو فقد عالج موضوعة ارسطو حول الشكل والعديد من اراءه الاخرى في فلسفة الطبيعة من وجهة نظر مادية.

ابن الرواندى (٨٢٧ — ٨٦٤). انضم في البداية للمعتزلة ولكن ما لبث ان اتجه نحو الالحاد. برهن في مؤلفاته ازلية العالم (كتاب التاج) وتردد في مسالة وجود اله (الزمردات) وكتب ضد الفكر الديني الاسلامي (الباصرات) ولم يعترف بان القرآن منزل من عند الله كما لم يعترف بنبوة الانبياء.

ابن باجة: (٠٠٠٠ — ١١٨٠)، اهم مؤلفاته الفلسفية (تدبير المتوحد) في هذا المؤلف وقف ضد آراء الغزالي الغيبية دفاعا عن العلم والفلسفة وقال بان اعلى شكل من اشكال المعرفة يمكن التوصل اليه عن طريق العقل فقط. وقال بان اكتمال المجتمع يتم بالاكتمال الروحي للانسان وبالتالي في المجتمع الكامل لن يكون هناك حاجة للعقاب او المحاكم لان اعضاء هذا المجتمع سيكونون حكماء ومثلهم الاعلى هو حب الاخرين. اتهم بالالحاد والزندقة واعدم عن طريق تناول السم. واحرقت ومنعت مؤلفاته.

المادية الميكانيكية:

في القرنين السابع والثامن عشر وعلى اثر اكتشاف قوانين نيوتن والاله البخارية والنجاحات الكبيرة التي حققها علم الميكانيكا وكونه اصبح انضج العلوم في ذلك الوقت، والتوجه للنظر لمختلف القضايا بما في ذلك الانسان نفسه، وحلها من وجهة نظر ميكانيكية، اصبحت مادية ذلك العهد ميكانيكية ايضا فقد كانت تحيد جميع قوانين العالم في حقيقة الامر الى قوانين الميكانيك، وكان عدم تطور العلوم (باستثناء الميكانيكا) سببا في نقص آخر من نواقص مادية القرنين السابع والثامن عشر وهو انها لم تستطع ان تتابع بشكل منطقي فكرة تطور العالم والترابط القائم بين جميع ظواهره منعزلة دون الاخذ بعين الاعتبار التاثير المتبادل بين الظاهرة قيد الدراسة ومختلف الظواهر الاخرى. هذا من جهة ومن جهة اخرى بقيت اسيرة النظرة الى الظاهرة من وجهة نظر ثباتها وجمودها واهمال اعتبار حالة الظاهرة قيد البحث هي مجرد مرحلة مؤقتة من مراحل تطور الظاهرة التاريخي. ان هذه النظرة الفلسفية القاصرة التي لا تاخذ بعين الاعتبار ترابط الظواهر وحركتها وتطورها تسمى في الفلسفة — نظرة ميتافيزيقية — وهكذا فاننا

Digitized by Birzeit University Library

نقول بان مادية القرنين السابع والثامن عشر كانت مادية ميكانيكية و ميتافيزيقية .

المنهج الديالكتيكي :

وعلى النقيض من المنهج الميتافيزيقي فان المنهج الديالكتيكي ينظر الى الظاهرة في حركتها وتطورها المستمرين ومن خلال ترابطها وتأثيرها وتأثرها بكل الظواهر الاخرى .

لقد وضع المنهج الديالكتيكي من قبل الفيلسوف الالماني هيغل (١٧٧٠ — ١٨٣١) ، وفيما بعد طور ووضع في اطاره النهائي بصفته علما يبحث في اعم قوانين تطور الطبيعة والمجتمع والفكر على يدى ماركس وانجلز فقد ربط ماركس وانجلز فلسفتهما المادية بالمنهج الديالكتيكي ربطا عضويا وبالتالي اصبحت تسمى بالمادية الديالكتيكية .

ليس من الصعب ادراك مصالح من تخدم المادية . فالفلسفة المادية متصلة اتصالا وثيقا بعلوم الطبيعة وكل نجاح لهذه العلوم هو في نهاية الامر نجاح للفلسفة المادية . وهي بالتالي تخدم تلك الطبقات الاجتماعية التي تريد ان تكتسب معارف علمية جديدة عن العالم وتريد استخدام هذه المعارف لمصلحة التقدم . ان المادية كقاعدة عامة كانت خلال كل تاريخ وجودها فلسفة الطبقات الطليعية والتقدمية في المجتمع . ففي ظل سيادة النظام الاقطاعي وعندما كانت البرجوازية كطليعة تتزعم النضال من اجل التقدم تحت راية "الحرية والمساواة والاخاء" اى عندما كانت البرجوازية طبقة ثورية وطليعية تسعى للاطاحة بالنظام الاقطاعي واقامة النظام البرجوازي الراسمالي ، كانت تتبنى المادية كفلسفة ولكنها ما لبثت ان تخلت عنها عندما اصبحت سيدة المجتمع وتخلت عن ثوريتها واصبحت طبقة محافظة رجعية تضطهد الطبقات الثورية التي تناضل من اجل التقدم من اجل الاطاحة بالنظام البرجوازي .

ان اكثر طبقات المجتمع الحديث طليعية وتقدمية هي الطبقة العاملة التي تحتاج في نضالها ضد البرجوازية وفي سبيل بناء الاشتراكية الى مذهب علمي واضح . ولهذا فان الماديـــة الديالكتيكية هي الاساس الفلسفي لايديولوجيـة الطبقة العاملة .

نعود الان لنقف قليلا عند الاتجاه الرئيسي الثاني في الفلسفة وهو الاتجاه المثالي . تنقسم المثالية الى تيارين اساسيين : المثالية الذاتية والمثالية الموضوعية . يعتبر المثاليون الذاتيون ان جميع الاشياء والظواهر في العالم الخارجي هي نتاج الوعي البشرى اى ليس لها اى وجود موضوعي خارج وعي الانسان واحاسيسه . ان كل حكمة المثالية الذاتية تتلخص في قول احدهـم "ان العالم كله مجموعة احاسيسي" .

اما المثاليون الموضوعيون فيقولون بان العالم المادى هو نتاج عقل كلي او فكرة مطلقة او اله موجود خارج وعي الانسان .

ان كل مجموعة معطيات علوم الطبيعة والممارسة البشرية تدحض المثالية . فعلوم الطبيعة الحديثة تثبت ان الارض والقمر والشمس كانت موجودة قبل ظهور الانسان او اى كائن حي على الكرة الارضية بمدة طويلة ، اقليس هذا برهانا قاطعا على استقلال العالم الخارجي عن وعي الانسان ؟

كما تتناقض مع علوم الطبيعة تناقضا فظا ايضا التصورات القائلة بوجود "عقل كلي" خالق للعالم فقد اثبت العلم ان الوعي هو نتاج مادة بالغـة

شاوا عظيمامن التنظيم هي الدماغ ، ولا يمكن ان يكون هناك وعي علمي مستقل عن المادة ذات التنظيم الرفيع اى مستقل عن العقل البشرى .

ولكن حتى لو فرضنا ان هذا الوعي موجود فكيف يستطيع ان يخلق العالم من لا شيء ؟ فبهذا يتناقض مرة اخرة مع كل قوانين العلم . لقد غزا الانسان الفضاء الكوني وتغلغل في اسرار عالم الذرة ولكنه لم يجد في اى مكان منها اية آثار لنشاط العقل الكلي ، وانما تفسر جميع الظواهر باسباب طبيعية .

كان نابليون يتحدث مرة مع العالم الفلكي الشهير لابلاس فساله لماذا لا ياتي على ذكر الله في اى مكان من مؤلفاته فاجاب لا بلاس باعتزاز "اني لم احتج الى هذه الفرضية" . لقد توصل العلم منذ ذلك الحين الى غير قليل من الاكتشافات العظيمة وتقدم شوطا بعيدا ، ونحن اذا ما استعرنا كلمات لابلاس لامكننا ان نقول ان البشرية لا تحتاج من أجل تفسير العالم تفسيرا

Digitized by Birzeit University Library

علميا الى اختلافات عن العقل الكلي او الفكرة المطلقة. لماذا اذن توجد المثالية وتؤثر في نفس الكثير من الناس؟ فللمثالية اتباع حتى بين العلماء. ان مرد هذا يعود الى ان للمثالية جذورها سواء في عملية المعرفة البشرية او في الظروف الاجتماعية. فالمعرفة عملية معقدة ومتناقضة الى حد بعيد والنظريات المثالية تستند الى موقف وحيد الجانب من عملية المعرفة فلحواس الانسان مثلا دور كبير في عملية المعرفة (ولكن هنا ينبغي ان لا ننسى ان هناك عدا الحواس تفكيرا تجريديا وممارسة عملية). فاذا ما ضخمنا دور الحواس فانه سيخيل لنا ان الحواس هي الشيء الحقيقي الوحيد، وكل ما نعرفه لا يتعدى احساساتنا، وبالتالي فان احساساتنا هي موضوع او مادة معرفتنا الوحيدة. وهذا ما يفعله المثاليون الذاتيون عندما يقولون بان الحواس هي "عناصر العالم" وهكذا فان جذور المثالية الذاتية في عملية المعرفة هي تضخيم احدى حلقات عملية المعرفة والمبالغة في دورها والاهمال الجزئي او الكلي للحلقات الاخرى.

ان كلا منا رأى وذاق مرات كثيرة التفاح والكمثرى والبرتقال وغيرها من الفواكه. ولكن احدا منا لم ير ولم يذق الثمرة، عموما فمفهوم الثمرة هو تجريد، هو فرز ذهني لتلك السمات العامة للتفاح والكمثرى والبرتقال..الخ ان التجريد ضروري في عملية المعرفة وبدونه لا يمكن التفكير، ولكن لا يمكن باي حال من الاحوال ان ننسى عند ذلك ان السمات العامة التي تشكل فكرة التجريد غير موجودة بذاتها ومنفصلة عن الاشياء المفردة المحددة. فاذا نسينا هذا او تناسيناه امكن بيسر ان نتصور أن هناك الى جانب التفاح والكمثرى والبرتقال، "ثمرة" بوجه عام. وان هذا المفهوم هو الذي يشكل جوهر جميع الثمار الحقيقية واساسها. وهذا ما يفعله المثاليون الموضوعيون عندما يقولون ان المفهوم او الفكرة موجودة بذاتها وتولد الاشياء المفردة. وتلك هي جذور المثالية الموضوعية في عملية المعرفة.

ولكن المسألة ليست فقط في تناقض عملية المعرفة وتعقدها. ان اسباب حيوية المثالية يجب البحث عنها في الظروف الاجتماعية ايضا. فالمثالية خلافا للمادية تعبر كقاعدة عامة عن مصالح الطبقات المحافظة والرجعية التي تسعى للابقاء على الانظمة البالية، وبما ان معرفة قوانين العالم تخدم التقدم الاجتماعي فان هذه الطبقات تتشبث بالمثالية التي تظل الكادحين وتصرفهم عن مهماتهم العملية ودورهم التاريخي وتحملهم الى ميدان المجردات الضبابية والغيبيات البعيدة عن الحياة. ان هذه الطبقات البالية تفرس وتدعم النظريات المثالية، وهذا هو السبب الرئيسي لبقاء المثالية، وهذا مرد وفرة النظريات المثالية في البلدان الرأسمالية، اضف الى ذلك ان الدين (وهو فلسفة مثالية بحد ذاته)، يجد في المثالية حليفا في صراعه مع الفلسفة المادية.

ان بعض المثاليين سعيا منهم الى ستر جوهر آرائهم الرجعي يزعمون انهم لا يمتون بصلة لا الى المادية ولا الى المثالية وانهم ارتفعوا فوق تضاد الاتجاهين الاساسيين في الفلسفة.

ولكن كيف يمكن التهرب من الجواب على السؤال عن علاقة الكيان بالوعي؟ ان هذا امر مستحيل بالطبع، وليس عبثا ان الفلاسفة الذين يحاولون التغلب على التناقض بين المادية والمثالية عن طريق "الارتفاع" فوق الاتجاهين يبشرون في الحقيقة بالمثالية الصرفة تماما. انهم اولا يخلنون ان المسالة الاساسية في الفلسفة خالية حسب زعمهم من اى معنى، وان مهمة الفلسفة هي تحليل "معطيات الشعور (الاحساس) ولكن يتضح فيما بعد. انهم يقصدون بـ "معطيات الشعور" الاحاسيس والادراكات. وتبرز بالتالي معطيات الشعور اى الاحاسيس والادراكات لا كانعكاس لاشياء العالم الخارجي بل كحقيقة موضوعية وحيدة. وبالتالي فان المسالة الاساسية تكون قد حلت عن تحيزلمصلحة المثالية. اذ اعتبرت الاحاسيس والادراكات اولية بالنسبة للواقع المادي.

لقد ذكرنا سابقا ان المادية والمثالية كلاهما مرتبطتان بمصالح طبقات معينة، الاولى تعتمد على العلم وتعبر عن مصالح الطبقات الطليعية والتقدمية في المجتمع، والثانية تلتصق بالغيبيات وتدافع عن مصالح الطبقات الرجعية والمحافظة. طبيعي ان من تبسيط الامور اعتبار ان جميع المثاليين يدافعون عن وعي عن مصالح الطبقات الرجعية والمحافظة، فبينهم من يقف

Digitized by Birzeit University Library

مواقف تقدمية في كثير من مسائل الحياة الاجتماعية والسياسية ومنهم من يناضل بنشاط في سبيل السلام . ولكن على الرغم من ذلك ، الا انه يجب التاكيد على ان محتوى النظريات المثالية ذاته يخدم مصالح الطبقات الرجعية شاء ذلك اصحابها ام لا .

ان صراعا حادا لا هوادة فيه يدور بين المادية والمثالية من اجل كسب عقول الناس . وقد يبدو للوهلة الاولى ان هذا الصراع لا يمت الا بصلة بعيدة الى المسائل السياسية والاقتصادية والى الصراع الطبقي في المجتمع ، ولكن الواقع غير ذلك . فكل من الاتجاهين الاساسيين يسعى لتكوين مذهب معين ونمط معين لدى الناس وعلى هذا تتوقف المنطلقات والموقف من المهمات والقضايا السياسية المطروحة وبالتالي كيفية معالجتها . ولهذا فان صراع المادية والمثالية يتصل صلة وثقى بالصراع الطبقي في المجتمع .

يتضح من كل هذا ان مسالة علاقة الكيان والوعي هي مسالة اساسية ليس فقط لان على حلها تتوقف مسائل فلسفية اخرى بل لسبب آخر ايضا . اذ ان في حل المسالة الاساسية في الفلسفة تتكشف التزامية (حزبية) النظرية الفلسفية وصلتها بالصراع الطبقي في المجتمع اما التزامية المادية الديالكتيكية فهي في كونها تعبر عن مصالح الطبقة العاملة . وما زعم الفلاسفة البرجوازيون حول ان التزامية المادية الديالكتيكية تعيق معرفة العالم معرفة علمية موضوعية، الا تشويه للحقائق وللواقع الموضوعي . فمن مصلحة الطبقة العاملة معرفة قوانين الواقع معرفة علمية لانها بحاجة الى ذلك لاعادة تنظيم العالم ، ولهذا فان المصلحة الطبقية في هذه الحال لا تعيق بل وبالعكس تساعد المعرفة الموضوعية العلمية . اما التزامية البرجوازية فشيء آخر ، فهي بالفعل تعيق معرفة العالم معرفة علمية موضوعية ، فليس من مصلحة البرجوازية المعاصرة معرفة قوانين تطور المجتمع معرفة علمية لان هذه القوانين تحمل الهلاك للراسمالية، فهل يمكن انتظار الالتحيز والموضوعية من قبل الفلاسفة البرجوازيين ؟

المادة واشكال وجودها

ان منطلق الفلسفة الماركسية ـ اللينينية، هو الاقرار بوجود المادة كحقيقة موضوعية دائمة التطور والحركة . فما هي المادة، وما هي اشكال وجودها الاساسية ؟

المفهوم الفلسفي للمادة :

العالم المحيط بنا، يغص بعدد لا نهائي من الظواهر والاشياء ذات الصفات المتعددة والمختلفة، فما هو اساس كل هذه الاشياء والظواهر؟ لقد قدمت المادية والمثالية جوابين متعاكسين تماما على هذا السؤال الذي برز في فترة ظهور الفلسفة نفسها .

فمن وجهة نظر ممثلي الفلسفة المثالية، اساس كل الاشياء والظواهر في العالم هي مادة (SUBSTANCE) مثالية، او بكلمات اخرى : الارادة الالهية، او العقل العالمي او الفكرة المطلقة . الخ ، ففي نظام هيغل الفلسفي مثلا ـ الاشياء والظواهر، هي شكل تحقق الفكرة المطلقة (وهي البداية العقلانية المثالية المولية عند هيغل) والتي عبر عملية تطورها الذاتي تدرك حقيقة نفسها من خلال الطبيعة وتاريخ البشرية . بهذا الشكل يعرف هيغل . اساس الاشياء والظواهر في الطبيعة . اما غيره من ممثلي نفس الاتجاه ـ المثالي الموضوعي ـ فينظرون للقضية من هذا القبيل او ما يشابهه . في حين يرى ممثلو الاتجاه المثالي الذاتي في ظواهر واشياء العالم الخارجي مجرد مشتقة (نتاج) للعالم الداخلي للانسان ـ احاسيسه وادراكاته . الخ . فبيركلي يقول مثلا : "ما هي هذه الاشياء، وأن لم تكن تلك التي ندركها بواسطة الشعور؟ وهل ندرك نحن شيئا سوى احاسيسنا وافكارنا الذاتية؟ . . انا لا افهم مطلقا كيف يمكن الحديث عن الوجود المطلق للاشياء بدون علاقتها بان احدا ما يدركها؟"

وهكذا نرى ان الفهم المثالي للعالم يقدم لنا صورة الواقع مشوهة وباطلة . على العكس من ذلك فان ممثلي الفلسفة المادية يسعون دائما لتفسير الظواهر تفسيرا واقعيا وعلميا . فقد قال انجلز بان المادية تعني فهم الطبيعة كما هي وبدون اية اضافات . ومن وجهة نظر المادية كتعاليم اساسها كل الخبرة الاجتماعية ـ التاريخية للبشرية، فان العالم المحيط بنا ما هو الا مادة متحركة لها اشكالها ومظاهرها المختلفة،

Digitized by Birzeit University Library

وليس هناك من شيء في هذا العالم سيء شكلا محددا للمادة او احدى حالاتها المعينة او صفاتها او نتيجة لتغيرها الطبيعي وتطورها حتى ان اكثر الافكار والمفاهيم تجريدية، ما هي الا نتاج نشاط عضو مادي (الدماغ البشري) وانعكاس لخصائص الاشياء المادية.

ان الفهم المادي بصفته الاساس العام الوحيد لكل ما هو موجود في العالم من اشياء وظواهر يعكس اكثر مضامين هذا العالم عمومية عضويا بتكامل وجهة نظر الانسان وفهمه للمادة وخواصها الاساسية وقوانين حركتها. فقد توصلت العلوم الطبيعية والفلسفة المادية التي سبقت ظهور الماركسية الى العديد من المقولات والمفاهيم العميقة حول المادة لا تزال تحتفظ بمكانتها واهميتها. انها قبل كل شيء تلك المفاهيم حول كونها الاساس الجوهري العام لكل الظواهر. كونها لم تخلق وغير قابلة للفناء ويقاء ما الازلي من حيث الزمان اللامتناهي من حيث المكان، ووجودها الموضوعي واستقلالها عن الوعي. كما يعود الفضل لماديي القرن الثامن عشر، وعلى الاخص الفرنسيين منهم، في كونهم اول من اثبت مقولة عدم امكانية الفصل بين المادة والحركة، وان الحركة هي شكل من اشكال وجود المادة. ان كل اسس الفهم المادي للعالم هذه، دخلت في مضمون المادية الديالكتيكية وعلوم الطبيعة المعاصرة.

وفي نفس الوقت فان مادية ما قبل الماركسية والتي كانت تعكس مستوى تطور العلوم في عصرها تقدمت ايضا بالكثير من المقولات والمفاهيم الميتافيزيقية والتاملية عن المادة، والتي رفضت بعد ان ثبت خطأها خلال عملية تطور العلوم. مثال على ذلك اعتبارهم ان الذرات هي اللبنات الاولية للمادة وانها غير قابلة للانقسام، وانها قابلة فقط للاتحاد والانفصال فيما بينها وتغير مكانها في الفضاء فتعطيانا كل مجموعة خواص المادة اللامتناهية كما وكيفا.

لقد قام ماركس وانجلز بتحليل نقدي عميق للمفاهيم الفلسفية المادية الميتافيزيقية والميكانيكية واشارا الى محدوديتها. وفي نفس الوقت وبالاعتماد على معطيات ونجاحات واكتشافات العلوم الطبيعية في اواسط القرن التاسع عشر تاما بوضع وصياغة التعاليم المادية الديالكتيكية عن المادة وقوانين تغيرها.

وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين انهارت نهائيا اسس خارطة العالم الميكانيكية على اثر الاكتشافات الثورية في العلوم الطبيعية التي تمت في هذه الفترة واهمها تطور نظرية المجال الكهرومغناطيسي، واكتشاف النشاط الاشعاعي، والالكترون ونتائج النظرية النسبية الثورية كاعتماد الكتلة على السرعة وازديادها بازدياد السرعة. وتكافؤ الكتلة والطاقة وبالتالي انهيار قانون حفظ المادة بمفهومه السابق حيث حل محله قانون حفظ الكتلة والطاقة معا.

ان عجز قوانين الفيزياء الكلاسيكية عن تفسير مختلف هذه الظواهر والاكتشافات الجديدة وبالذات انهيار قانون حفظ المادة الكلاسيكي، اوحى لممثلي الفلسفة المثالية ان يعلنوا بان المادة قد "اختفت" او "تلاشت" وان المادية كفلسفة قد ثبت بالتالي بطلانها.

ان هذه الاكتشافات الجديدة في الواقع برهنت فقط على خطأ ومحدودية الاسس الميتافيزيقية لتفسير العالم. وليس الفلسفة المادية بشكل عام ولا المادية الديالكتيكية بشكل خاص.

ان المادة من وجهة نظر الفلسفة المادية الديالكتيكية وكما فسرها وعرفها لينين "هي كل ما هو موجود بصورة موضوعية خارج وعي الانسان وبشكل مستقل عن هذا الوعي وقابل للادراك" ومن هنا يتضح ان المادية الديالكتيكية خلافا للنظم الفلسفية السابقة لا تقصر فهم المادة على احد اشكال او مظاهر وجودها المحددة، كان تقصرها على كل ما له كتلة ويشغل حيزا مثلا. المادة من وجهة نظر المادية الديالكتيكية تشمل بالاضافة الى المادة بمفهومها الفيزيائي الطاقة بمختلف اشكالها والمجالات الكهربائية والمغناطيسية والكهرومغناطيسية ومجال الجاذبية وكل ما هو موجود بصورة موضوعية خارج وعي الانسان.

ان هذا الفهم الفلسفي العميق للمادة يدحض ادعاءات "تلاشي المادة". فالذي تلاشى هو الحد الذي كانت تقف عنده معلوماتنا عن المادة حيث تبين من جملة ما تبين ان الصفة

Digitized by Birzeit University Library

التي كانت تعتبر من قبل علامة عامة شاملة للاشياء المادية وهي الكتلة الثابتة، ليست في الواقع هكذا، وعندما تتحول الكتلة الى طاقة فان هذا لا يعني تلاشي المادة وانما تحولها من شكل الى شكل آخر.

الحركة هي شكل وجود المادة: إنجلز

ان الفهم المادي الديالكتيكي للمادة لا ينحصر في اعتبارها حقيقة موضوعية واساسا لكل الظواهر، وانما يتعداه للكشف عن تعدد اشكالها المتفاعلة والقابلة للتحول من شكل الى آخر. وهذا يعني انها لا تنظر للمادة كشيء جامد ميت سلبي لا يتغير، بل بصفتها نشطة فعالة دائمة التغير والتحول من شكل لاخر، وتحمل صفة النشاط الداخلي والقدرة على التغير والتطور، اى الحركة في اوسع مفاهيمها ومعانيها. وبمعنى آخر، كل تغير مهما كان. ولذلك فان المادية الديالكتيكية تعتبر ان الحركة هي شكل وجود المادة، اى انها صفة ملازمة للمادة حيث لا يمكن تصور المادة بدون حركة، كما لا يمكن تصور حركة بدون مادة. وبالفعل، لو تتبعنا ظواهر الطبيعة المتعددة الاشكال فلن يصعب علينا ان نلاحظ انها جميعا في حركة وتغير دائمين. ولو حاولنا ان نجد شيئا ساكنا سكونا مطلقا لما نجحنا في هذه المحاولة. صحيح ان الاجسام قد تكون في حالة سكون، ولكن هذا السكون نفسه نسبي دائما. فالاجسام لا تسكن الا بالنسبة لمجموعة ما من الاحداثيات تعتبر فرضا غير متحركة. فالبيت مثلا ساكن بالنسبة للارض. ولكن البيت والارض يقومان معا بدورة كل يوم حول محور الارض ودورة كل سنة حول الشمس. والشمس تدور حول نفسها وحول مركز المجرة (درب التبانة) والمجرة بدورها ايضا تدور حول نفسها وحول مركز المجموعة المجرية.

حتى لو قصرنا الامر على ابسط شكل للحركة الشكل الميكانيكي، فلن نجد شيئا في حالة سكون مطلق. ففي الاجسام تجرى تغيرات فيزيائية وكيميائية معقدة. كحركة الجزيئات والذرات والجسيمات الاولية. والحركة اعقد من هذا ايضا في الطبيعة الحية وفي المجتمع. ففي اجسام الناس والحيوانات تجرى عمليات فيزيولوجية معقدة. وتحل انواع محل اخرى في تطور الطبيعة الحية. وفي التاريخ البشرى يجرى تطور وتجدد دائمان في جميع نواحي الحياة الاجتماعية من اقتصاد وسياسة وحضارة. ولا تتوقف عملية المعرفة عند الناس يوما واحدا. ويتطور العلاقات الاجتماعية يتغير الانسان نفسه وجهات نظره ومثله العليا واخلاقه وسلوكه.

ان العالم المادي يمثل امامنا كلوحة جليلة للحركة والتغير العامين، ليس فيها مكان لاى شيء جامد ثابت معطى مرة واحدة والى الابد. وكما قال الفيلسوف اليوناني القديم هيراقليط فان "كل شيء يسيل وكل شيء يتغير".

ان واقع عمومية الحركة نفسه، يحمل على التفكير بان المادة والحركة متصلتان اتصالا وثيقا ولا ينفصلان. وبالفعل فان العلم المعاصر قد برهن على ان المادة موجودة في الحركة فقط (الحركة الجزيئية او الحركة الحرارية كما تسمى عادة، يمكن ان تتوقف فقط عند درجة حرارة الصفر المطلق والتي برهن العلم استحالة الوصول اليها). ولو حدث المستحيل فجأة وتوقفت كل حركة للحظة ما، لكان هذا يعادل الزوال الفناء للعالم نفسه وللواقع الموضوعي والمادة.

الاشكال الاساسية للحركة

على الرغم من التعدد اللانهائي لاشكال حركة المادة، الا انه من الممكن تحديد بعض القطاعات وتصنيفها على اساس القوانين التي تضبط الحركة في كل منها من جهة وعلى اساس "حامل" الحركة في كل قطاع، اى ان هذا "الحامل" ـ الاجسام المادية بالطبع ـ متشابهة من حيث طبيعتها.

ان تصنيف الحركة عموما في اشكال محددة يمكننا من كشف وفهم طبيعة العلاقة والفروق والتاثير المتبادل بين شكل وآخر وكيفية دراسة ومعرفة كل منها بشكل عميق ومنظم. ولكن هذا

Digitized by Birzeit University Library

التاكيد على ان اى تصنيف لاشكال الحركة يعكس بطبيعة الحال مستوى المعرفة العلمية في تلك المرحلة التاريخية، ولذلك فانه نسبي لانه كامل وصحيح في هذه المرحلة بالذات وهو موقت من وجهة النظر التاريخية.

وهكذا بناءا على معطيات العلوم الطبيعية والاجتماعية ومستوها المعاصر يمكن اعتبار اشكال الحركة الرئيسية هي التالية:

١. الحركة الميكانيكية، او الحركة الانتقالية، وهي تتضمن كل اشكال الحركة الانتقالية للمادة، والتي يمكن ضبطها بواسطة قوانين الحركة والميكانيكا.

٢. الحركة الفيزيائية، وتشمل الحركة الجزئية (الحركةالحرارية) وحركة الذرات والجسيمات الاولية والمجالات على اختلاف انواعها — كهربائية ومغناطيسية وكهرومغناطيسية وجاذبية وغيرها. وهذا الشكل من اشكال الحركة تضبطه القوانين الفيزيائية.

٣. الحركة الكيميائية، وتشمل اتحاد الذرات والجزيئات وانفصالها والنشاط الاشعاعي وبناء المركبات الكيميائية وتحليلها وغير ذلك مما يمكن ضبطه بواسطة القوانين الكيميائية.

٤. الحركة البيولوجية وتجرى فقط في الاجسام الحية، وتشمل كل العمليات التي تجرى داخل الجسم الحي كعمليات الهدم والبناء والتكاثر وتبادل المواد مع المحيط وغير ذلك.

٥. الحركة الاجتماعية — وهي ارقى اشكال حركة المادة، وميدانها المجتمع البشرى فقط، وتشمل كل اشكال نشاط الناس الواعي وكل التغيرات الاجتماعية واشكال العلاقة بين الانظمة الاجتماعية المختلفة والصراع الطبقي والحركات التحررية والثورات الاجتماعية والحروب وغير ذلك.

انطلاقا من هذا التصنيف نستطيع الاستنتاج ان ابسط اشكال حركة المادة هي الحركة الانتقالية (الميكانيكية) يليها على سلم رقي اشكال الحركة، الحركة الفيزيائية ثم الكيميائية ثم البيولوجية واخيرا الحركة الاجتماعية وهي ارقى شكل لحركة المادة. ونستطيع ان نلاحظ ايضا ان اى شكل من هذه الاشكال يتضمن في داخله كل الاشكال الاخرى التي هي دونه على هذا السلم. فالحركة البيولوجية مثلا تتضمن في داخلها حركة كيميائية وفيزيائية وميكانيكية، ولكنها لا تتضمن اى نوع من انواع الحركةالاجتماعية. فعملية الهدم والبناء في الجسم الحي مثلا لا يمكن ان تتم بدون انتقال بعض المواد (حركة انتقالية) وبدون حرارة او طاقة (حركة فيزيائية) وبدون تفاعل العناصر والمركبات الكيميائية وتحللها (حركة كيميائية).

ان اى اغفال للفروق النوعية بين الاشكال العليا لحركة المادة والاشكال الدنيا يؤدى حتما الى الميكانيكية في التفكير وفي فهم الامور. مثال ذلك مساواة البعض الدماغ البشرى بالعقل الالكتروني وعملية التفكير بالعمليات الجارية في العقل الالكتروني.

المكان والزمان — شكلا وجود المادة

ان حركة المادة لا يمكن ان تتم الا في الزمان والمكان، كما لا يمكن تصور حدوث اية حركة خارج الزمان او خارج المكان او خارج كليهما معا. انطلاقا من ذلك فان المادية الديالكتيكية تعتبر الزمان والمكان شكلين لوجود المادة. وطالما ان المكان والزمان هما شكلان لوجود ظاهرة محتواها المادة، وطالما انه لا وجود للشكل بدون المحتوى فبالتالي لا وجود للمكان والزمان بشكل منعزل ومستقل عن المادة.

لقد كانت كل النظريات الفلسفية التي سبقت المادية الديالكتيكية تعتبر ان للزمان وللمكان وجود مطلق مستقل عن وجود المادة. المكان كوعاء هائل الاتساع (بدون جدران بالطبع) والمادة موزعة فيه على الشكل الذى نعرفه — مجموعات نجمية وكواكب و..الخ، والزمان ايضا له وجوده المطلق وهو يسيل بنفسه السرعة في كل زوايا العالم. وعلى كل الكواكب وفي اى مكان من هذا الوعاء الهائل الذى نسميه المكان. كما لو كانت هناك ساعة مركزية تضبط سيل الزمان في كل ارجاء الكون.

ان هذا التصور للمكان والزمان ثبت علميا بطلانه منذ بداية هذا القرن وذلك عندما وضع آينشتين النظرية النسبية التي حكمت لمصلحة وجهة نظر المادية الديالكتيكية للمكان والزمان، وشيعت فكرة الزمان والمكان المطلقين والمستقلين بوجودهما عن المادة الى مثواها الاخير.

لقد اثبتت النظرية النسبية ان الزمن لا يسيل اينما كان بنفس السرعة، بل ان سرعة سيل

Digitized by Birzeit University Library

الزمان تعتمد على سرعة الحركة.

فبالنسبة لشخص على الارض ويستعمل نظام احداثيات مثبت على الكرة الارضية، يسيل الزمن في صاروخ يسير بسرعة هائلة مبتعدا عن الارض بسرعة ابطأ مما يسيل فيه الزمن على الارض. وهذا الاختلاف في سرعة سيل الزمن على الارض وفي الصاروخ يتم بشكل موضوعي ولا يعتمد مطلقا على اى عامل ذاتي يتعلق بالمراقب.

وطالما ان سرعة سيل الزمن تعتمد على حركة المادة، فبالتالي لا وجود لها اذا انتفت الحركة وهذا يعني انه لا وجود للزمن بدون وجود المادة او بشكل مستقل عن المادة لانه لا وجود للحركة بدون وجود المادة.

والوضع بالنسبة للمكان تماما كما هو عليه الوضع بالنسبة للزمان. فمقياس المكان وهو وحدة الطول تعتمد ايضا على الحركة. فالصاروخ المتحرك بسرعة هائلة بالنسبة لمراقب على الارض يصبح اقصر مما كان عليه قبل ان يبدأ الحركة. وقصره هذا يتم بالفعل وبشكل موضوعي لا يعتمد على اى عامل ذاتي يتعلق بالمراقب. وقد اثبتت النظريات العلمية صحة ذلك. وهذا يعني بالتالي ان لا وجود للمكان بدون وجود المادة او بشكل مستقل عنها.

بالاضافة الى ذلك فان وجود المكان والزمان من وجهة نظر المادية الديالكتيكية وجود موضوعي خارج وعي الانسان وبشكل مستقل عنه. وفي هذا ايضا تختلف المادية الديالكتيكية مع المثالية التي تقول بانه لاوجود للمكان والزمان خارج وعي الانسان. يقول الفيلسوف الالماني كانت مثلا: "ان المكان والزمان هي مجرد اشكال لكل تصور احساسي واضح".

ومن وجهة نظر المادية اليالكتيكية فان الزمان عدا عن كونه يسير باتجاه واحد ومن المستحيل ان يسير بالاتجاه المعاكس، هذه الخاصية التي تحدد طبيعة علاقة السبب والنتيجة وتتابعهما، اى استحالة ان تسبق النتيجة السبب، فان الزمان مثله مثل المكان لا نهائي، اى انه لا بداية ولا نهاية للكون لا في الزمان ولا في المكان.

مصدر الحركة:

من الطبيعي عندما نشاهد الحركة في الطبيعة والمجتمع ان نطرح السؤال: ما هو مصدر الحركة؟ واول ما يتبادر الى الذهن فكرة الدفعة التي تنقل الحركة من شيء الى شيء ولكن لا بد عندئذ من افتراض فكرة الدفعة الاولى التي كانت بداية الحركة. وينتج من ذلك ان المادة كانت في البدء ميتة ثم ظهرت قوة ما من وراء الطبيعة "ودفعتها". ان فكرة الدفعة كمصدر عام للحركة تؤدي بالضرورة الى الفكرة الدينية عن "خلق العالم".

ان الدفعات الخارجية موجودة في الطبيعة ولكن لا تفعل غير نقل الحركة من جسم الى آخر دون ان تكون هي مصدرها، واذن فان مصدر الحركة يجب البحث عنه في داخل الظواهر المادية نفسها لا خارجها.

فلنتذكر مبدأ عمل المحرك النفاث حيث يحترق الوقود وتندفع الغازات بقوة هائلة من الصاروخ وتدفعه في الاتجاه المضاد بالقوة نفسها، وهكذا نرى ان وجود قوتين متضادتين هو شرط ضروري لانطلاق الصاروخ فصدام هاتين القوتين المتضادين وتصارعهما هو مصدر حركة الصاروخ فكيف الحال في الطبيعة؟

ان جميع الاشياء المادية في الطبيعة تتضمن في ذاتها اضدادا. واذا ما بدت بعض الظواهر والاشياء وحيدة الماهية خالية من الاضداد اطلاقا فلسبب واحد، هو ان الجوانب والعناصر والاتجاهات المتضادة فيها خفية عن انظارنا. ويكفي ان ندرسها دراسة اعمق، ونتغلغل في داخلها حتى نكتشف فيها حالا عناصر متضادة.

حتى الحركة الميكانيكية البسيطة لا يمكن تصورها بدون اضداد، فعل ورد فعل، شد ودفع، تقلص وتمدد. وهكذا الحال مع اشكال الحركة الاكثر تعقيدا. ففي الحركة الفيزيائية نجد في كل خطوة اضدادا. شحنتين كهربائيتين موجبة وسالبة، قطبين مغناطيسيين شمالي وجنوبي مجالين كهرباني ومغناطيسي مادة ومجال. وكل ذرة تتألف من ضدين نواة مشحونة شحنة موجبة

Digitized by Birzeit University Library

وغلاف الكتروني مشحون بشحنة سالبة . .الخ .

ولو نظرنا الى الطبيعة الحية لوجدنا هنا ايضا انه تجرى في كل جسم حي عمليات متضادة هدم وبناء، هضم وافراز، نشوء وتفسخ، وفي المجتمع توجد ايضا القوى المتضادة : قوى طليعية وثورية من جهة واخرى رجعية ومحافظة من الجهة الاخرى .

الاضداد ليست معزولة بعضها عن بعض بل على العكس فانها موجودة في نفس الظاهرة وتبرز في وحدة واحدة ولا تستطيع ان "تعيش" بدون بعضها البعض، ولو فرضنا جدلا انه امكن الفصل بين ضدين احدهما عن الاخر الهدم والبناء مثلا في الجسم الحي لادى هذا راسا الى هلاك هذا الجسم اى الى تفسخ الظاهرة نفسها . ولكن ومع كون الضدين موجودين في وحدة واحدة (في نطاق الظاهرة المعينة) الا انهما لا يستطيعان العيش والبقاء في حالة "سلام" و"وئام فما بينهما لانهما ضدان . بل على العكس فانهما في حالة صراع وصدام دائم، صراع القوى المتعارضة وذلك بسبب حالة التناقض الدائمة فيما بينهما .

ما هو دور التناقضات في عملية التطور؟ لنتبع ذلك من خلال مثال التأثير المتبادل بين الوراثة والتغير في الإجسام الحية . ان لجميع النباتات والحيوانات القدرة على انتاج مثيلها (التكاثر) ونقل علائمها من جيل إلى جيل (الوراثة) ولكن ظروف معيشة الخلف تختلف على العموم عن ظروف معيشة الوالدين . ان تأثير ظروف الوسط الخارجي المختلفة هذه لا بد وان تؤدى الى بعض التغير في الخلف وظهور بعض علائم خاصة فيه غير مماثلة لعلائم الوالدين وهكذا نرى ان الوراثة والتغير هما ضدان ينشأ بينهما دائما تناقض . فالتغير يصطدم بالوراثة ويهدم صفة المحافظة فيه ويأتي بشيء جديد في التطور . ثم تأتي الوراثة فتثبت من جديد العلائم النافعة المكتسبة وتنقلها الى الاجيال التالية . ونتيجة لذلك وعلى المدى الطويل تظهر انواع جديدة من الحيوانات والنباتات ويحدث التطور وهكذا فان التناقض بين الوراثة والتغير هو احد مصادر تطور الطبيعة الحية .

ومع كون الاشياء المادية هي وحدة اضداد فانها لا تستطيع ان تكون في حالة سكون مطلق لان صراع الاضداد يبعث فيها الاضطراب والحركة ويمنع عنها الجمود وهذا الصراع هو مصدر الحركة وبالتالي هو مصدر تطور جميع الظواهر .

وهذا هو جوهر قانون الديالكتيك الاول — قانون وحدة وصراع الاضداد الذى يكشف لنا عن المصدر الداخلي للحركة وللتطور .

والان كيف وباية طريقة يحدث التطور والحركة؟ على هذا السؤال يجيبنا القانون الاساسي الثاني للديالكتيك — قانون تحول التراكمات الكمية الى كيفية — اى ان التراكمات الكمية تؤدى الى تحولات او تغيرات كيفية (نوعية) .

ان هذا القانون العام للتطور ينص على ان التراكم الكمي التدريجي البسيط وغير الملحوظ يؤدى بالضرورة في لحظة معينة الى تغيرات كيفية جذرية وعميقة وذلك عن طريق قفزة (طفرة) كيفية من كيف قديم الى كيف جديد . ان هذا القانون يسيّر كل عمليات التطور والتغير سواء اكان ذلك في الطبيعة او المجتمع او الفكر . وتنبع اهمية هذا القانون من ضرورته لفهم مقولة التطور من وجهة نظر ديالكتيكية والفصل بينهما وبين مختلف وجهات النظر الميتافيزيقية لعملية التطور التي تختزلها الى مجرد تراكمات كمية وبدون ما تحطيم للقديم وولادة للجديد (اى دون قفزة كيفية) .

ان تطور العلوم في اى ميدان من ميادين المعرفة سواء اكانت الفيزياء او الكيمياء او الاحياء او غيرها وكذلك الخبرة التاريخية العالمية للتغيرات الاجتماعية في العقود الاخيرة اكدت واغنت نظرية التطور الديالكتيكية كعملية تغيرات كيفية تحدث نتيجة تراكمات كمية .

ان لكل شيء او ظاهرة في هذا الكون بالضرورة كيفية معينة وكمية معينة ايضا تميزانه عن غيره من الاشياء او الظواهر . لنأخذ مثلا قطعة عادية من الالومنيوم . ان الوزن النوعي للالمنيوم ٢٫٧ ووزنه الذرى ٢٧ وشحنة نواته ١٣ ودرجة حرارة انصهاره ٦٥٩م هذه هي مواصفاته الكمية ولكن الالمنيوم الى جانب ذلك معدن ذو لون ابيض فضي مطواع ناقل جيد للحرارة والكهرباء الخ وهذه هي مواصفاته الكيفية وبالطريقة ذاتها نستطيع اعطاء المواصفات الكمية

Digitized by Birzeit University Library

والكيفية لاى عنصر او مادة او شيء او ظاهرة .

وعندما ننظر الى الامر بتمعن نلاحظ ان الكمية والكيفية مرتبطان فيما بينهما وفي حالة تبعية وتاثير متبادل ، وما حالة الاستقلال الشكلي لواحدة عن الاخرى الا حالة نسبية، واوضح ما يتجلى هذا الارتباط في الكيمياء . وليس عبثا ان انجلز سمى الكيمياء علم التغيرات الكيفية للاجسام التي تجرى بتاثير تغير التركيب الكمي . وبالفعل فان الاكسجين والاوزون يتميزان من حيث التركيب الكيمياني تمايزا كميا صرفا ومع ذلك فهما مادتان مختلفتان لهما صفات مختلفة كما ان الجدول الدورى للعناصر الذى وضعه العالم الروسي مندلييف ، بنى على اساس تبعية صفات العناصر الكيميائية لوزنها الذرى او الادق كما بين العلم المعاصر، تتوقف هذه الصفات على مقدار شحنة نواة الذرة. فزيادة شحنة نواة الذرة شحنة واحدة تنقلنا من عنصر الى عنصر آخر، مثلا الصوديوم — ١١ ، المغنيسيوم — ١٢ ، الالومونيوم — ١٣ ، وهكذا .

وهذا يعني ان تغير الكمية يؤدى الى الانتقال الى كيفية جديدة .

مثال آخر . عملية تسخين الماء والصلبة (الجليد مثلا) ترفع من درجة حرارتها الى درجة حرارة معينة هي درجة الانصهار عندما تثبت درجة الحرارة على الرغم من مواصلتنا لعملية التسخين ولكن المادة الصلبة تبدا في التحول الى سائل الى ان تتحول كليا وبعد ذلك فقط تبدا درجة حرارة المادة في الارتفاع من جديد الى ان تصل مرة ثانية لدرجة حرارة معينة هي درجة الغليان وهنا تثبت من جديد رغم مواصلتنا لعملية التسخين ولكن السائل يبدا في التحول الى غاز وهنا نرى ايضا كيف تؤدى التراكمات الكمية الى تغيرات كيفية .

وفي الطبيعة الحية يمكن متابعة تحول التراكمات الكمية الى كيفية جديدة بمشاهدة النباتات . ففي تطورها يبرز بوضوح عدد من المراحل المختلفة كيفيا حيث يتوقف الانتقال من مرحلة الى اخرى على كمية معينة من الحرارة والضوء والماء .

وترى كذلك صلة التغيرات الكمية بالتغيرات الكيفية في المجتمع بوضوح . ففي ميدان الانتاج مثلا اتحاد العاملين في مجموعه واحدة (في المصنع او التعاونيات) يعطي مفعولا وجدوى اقتصادية تزيد كثيرا على المجموع الحسابي للجدوى الاقتصادى لكل منهم لو اشتغلوا على انفراد .

ومن الامثلة الساطعة ايضا على الانتقال الى كيفية جديدة في التطور الاجتماعي الثورات الاجتماعية التي تختمر مقدماتها بالتدريج في داخل المجتمع .

ان التغيرات الكمية والكيفية في صلة وتاثير متبادل ، اى تؤدى كل منهما للاخرى ، وهذا يعني ان في عملية التطور ليس فقط التغيرات الكمية تؤدى الى تغيرات كيفية وانما يحدث العكس ايضا . اى ان التغيرات الكيفية تؤدى بدورها الى تغيرات كمية . فالانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية يؤدى الى تغيرات واضحة في الدلائل الكمية تسارع وتائر التطور الاقتصادى والثقافي ، زيادة الدخل الوطني ... الخ .

ان التغيرات الكمية والكيفية نسبية ، بمعنى ان نفس التغير بالنسبة لصفات معينة (اقل عمومية) يعتبر تغيرا كيفيا، وبالنسبة لاخرى (اكثر عمومية) يعتبر تغيرا كميا . فمثلا الانتقال من مرحلة المنافسة الحرة الى المرحلة الاحتكارية (في الرأسمالية) لا يمكن اعتباره تغيرا كيفيا مطلقا . فصفات الرأسمالية هذه الحالة قد تغيرت بمعنى انه قد ظهرت بعض الخواص والصفات الجديدة الهامة ، ولكن محتوى الرأسمالية لم يتغير . وهكذا فان اية عملية تطور هي في نفس الوقت عملية متصلة متقطعة . فجانب الاتصال في العملية يظهر في شكل تغيرات كمية، في حين ان جانب الانفصال (الانقطاع) يبرز في شكل التغيرات الكيفية . لقد اثبتت الماركسية لا علمية وجهة نظر الايديولوجيين البرجوازيين والمحرفين اليمينيين الذين يختزلون عملية تطور المجتمع الى مجرد عملية ارتقاء بسيط (تغيرات كمية واصلاحات) وينكرون ضرورة القفزات (الطفرات) والثورات الاجتماعية وفي نفس الوقت لا علمية وجهة نظر الفوضويين والمغامرين " اليساريين" الذين يهملون ويستخفون باهمية العمل الدؤوب والمثابر من اجل القوى ومن اجل تنظيم وتجميع وتوعية وتحضير الجماهير للعمليات الثورية الحاسمة .

Digitized by Birzeit University Library

قانون نفي النفي :

هل لتطور الطبيعة والمجتمع اتجاه ما؟ ام انهما يتطوران في دائرة مغلقة ، ويكرران دائما وابدا طريقا واحدا لا يحيدا عنه ؟

ان خبرة الحياة البسيطة ، ومعطيات العلم تسمح باستنتاج انه في تطور العالم المادي تقدما وحركة الى الامام . ويبدو هذا بوضوح خاص من مثال تطور الطبيعة الحية. فمجرد ظهورها وحده دليل على ان الطبيعة قادرة على الانتقال من الاشكال الدنيا ، البسيطة، غير العضوية الى اشكال عليا ، مركبة ،عضوية . لقد اجتازت الطبيعة الحية طريقا طويلا من التطور الصاعد من المادة الحية ومن ابسط العضويات الوحيدة الخلية الى الانسان . فكأنما كل مرحلة في هذا الارتقاء نفت ما قبلها، ثم انتفت هي نفسها في المرحلة التالية. وجرى نوع من نفي النفي .

ان النفي في نظرية التطور لا يعني الفناء التام لكل محتوى القديم . فاولا كثيرا ما تستمر الظواهر الابسط في البقاء الى جانب الظواهر الجديدة الاعقد . وهذا ما يجرى مثلا في الطبيعة الحية فالى جانب الحيوانات الراقية ذات التنظيم الرفيع ، توجد في الطبيعة حيوانات بالغة البساطة. وثانيا : وهذا الاهم ، عندما ينشأ الجديد من القديم في عملية التطور الصاعد نفسها، فكأنما يحتفظ على ما كان في القديم من ايجابي وقيم. وكل نوع جديد يظهر في الطبيعة الحية ، ويأخذ الصفات المفيدة له ، التي كدسها السلف خلال عملية التطور التدريجي .

وفي تاريخ المجتمع ، ينشأ كل نظام ، اجتماعي جديد لا في مكان فارغ ، بل على اساس استيعاب الثروات المادية والروحية التي وجدت في الحقب السالفة.

لقد اقترح اناس من " غلاة الثوريين " بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية ، القضاء على كل معالم الحضارة القديمة بحجة انها برجوازية وانشاء " حضارة بروليتارية " صرفة لا علاقة ولا صلة لها بالماضي (الثورة الثقافية في الصين كانت محاولة من هذا النوع) ، وبلغ الامر بالمتحمسين منهم حد المطالبة برمي مؤلفات الشاعر الروسي العبقرى بوشكين " خارج سفينة التاريخ" . وما كان من لينين الا ان انتقد هؤلاء بشدة ، وبين لهم ان البروليتاريا هي حافظة تقاليد حضارة الماضي التقدمية والديموقراطية والمتابع الكف لها . ولا يمكن بناء حضارة اشتراكية في مكان فارغ .ويجب لتطويرها والمضي بها قدما الى الامام الاغتناء بمعرفة جميع القيم التي صنعتها البشرية .

وهكذا فان النفي لا يعني انعدام الصلة والاستمرار والترابط في التطور. فالظاهرة التي تنشأ بنتيجة النفي تحافظ على كل ما كان في المرحلة السابقة من ثمين ،وفي الوقت نفسه تبرز كشيء جديد ، اغنى من حيث المحتوى ، ويفضل هذا بالذات لا يكون تطور الطبيعة والمجتمع والفكر مراوحة في مكان واحد بل تقدما وحركة الى الامام .

وبمقدار ما يبقى المحتوى الايجابي لدرجات التطور الدنيا في درجات التطور العليا، يكون من الممكن ان تنكر في سلسلة النفي المتتابع ، بعض صفات التطور السابق. فكأنما تحدث عودة الى القديم ولكن على درجة اعلى من التقدم. مثال ذلك : في ظروف النظام المشاعي البدائي كانت تهيمن الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج ثم حدث نفي هذه الملكية، ونشأت الملكية الخاصة واستغلال الانسان للانسان وبانتصار الثورة الاشتراكية تنتفي الملكية الخاصة وتعود الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج لكن على اساس آخر اعلى مما كانت عليه في ظل المجتمع المشاعي البدائي .

ان هذا المثال يسمح بان نفهم ان التطور الصاعد ليس ارتقاء في خط مستقيم ،بل هو عملية معقدة دورية تشبه الحركة الحلزونية. ان التطور هو سلسلة النفي المتتابع التي يتحقق بواسطتها الارتقاء من الادنى الى الاعلى ومن البسيط الى المعقد .

مسئولات الديالكتيك :

Digitized by Birzeit University Library

المقولة كمفهوم فلسفي تعكس اعم واهم خواص وجوانب وعلاقة ظواهر الطبيعة والمعرفة. وقد ظهرت المقولات خلال عملية التطور التاريخية للمعرفة القائمة على اساس الخبرة العملية الاجتماعية . وهي تتيح للانسان ان يعرف ويدرك العالم المحيط به معرفة عميقة. ان عملية معرفة اى شيء او اية ظاهرة ليست مجرد عملية انعكاس ميكانيكية بسيطة لواقع هذه الظاهرة في وعي الانسان . وانما هي عملية معقدة تبدأ بمعطيات الشعور والاحساسيس وتنتهي بالتجريد ، ومن المنفرد الى العام وهكذا. ومن اهم مظاهر التفكير المجرد هو ظهور مفهوم المقولة. ويرجع الفضل الكبير والاول في وضع المقولات الفلسفية لارسطو ودلك في مؤلفه " المقولات " حيث وضع عشرة مقولات فلسفية هي المحتوى . الكمية ، الكيفية ، العلاقة المكان ، الزمان .

الوضع ، الحالة ، الفعل والمعاناة.

وقد طور مفهوم المقولة الفلسفي فيما بعد من قبل كانت ومن ثم هيغل الذى نظر الى المقولات من وجهة نظر تطورها الديالكتيكي (وفي هذا تكمن الاهمية الكبيرة من وجهة نظر المادية الديالكتيكي لمنطق هيغل) على الرغم من انها لا تتعدى عنده كونها درجات في سلم تطور الفكرة المطلقة ، اى مجرد حقائق مثالية.

اما المادية الديالكتيكية فتعير اهمية خاصة للمقولات الفلسفية (مقولات الديالكتيك المادى باعتبارها شكل لانعكاس الوجود ونقطة انطلاق هامةفي عملية المعرفة. اما اهم المقولات الفلسفية للمادية الديالكتيكية فهي : المادة ، الحركة ، المكان والزمان ، الكيفية والكمية ، التناقض ، السببية (السبب والنتيجة) ، الصدفة والضرورة ، الشكل والمحتوى ، الامكانية والواقع ، الجوهر والظاهرة، العام والخاص والمنفرد ، الحرية والضرورة.

تربط هذه المقولات بعضها البعض علاقة معينة ،وتشكل معا منظومة محددة حيث يمكن استنتاج او استخلاص الواحدة من الاخرى حسب القوانين الموضوعية للواقع ولتطور المعرفة. واهم عامل في بناء منظومة المقولات ، هو الوحدة التاريخية والمنطقية لعملية تطور المعرفة من الظاهرة الى المحتوى ومن الخارجي الى الداخلي ، من المحدد الى المجرد ومن البسيط الى المعقد .

الضائعة

عادل محمد التعمري
بيت لحم

فتشت عنك ، فلم اجد
الا العصابة والجديلة

ورسالة ارسلتها
لكن أحرفها قليلة

يا ويلتاه لضائع . .
من ذا الذى يهدى دليله

ضل الطريق وما درى
انّ الطريق لها طويله

قال المرابي : من هنا
مرّت ، وقد مرّت دخيلة

وسمعت في الحانه
نشرا ينمّ عن الرذيلة

تلك اللئام جميعهم
من طينة دنيا دليله

باعوك ثمّ تزعّموا
سفها مجالسة الفضيلة

انت التي آنستني
عهد البراءة والطفولة

وملأت كاسات الهوى
واهجت في الدنيا خيوله

انت التي ملكتها
وديان قلبي في سهوله

هل تصبحين بعيدة
عني ودربك مستحيله

لا ، لن تصيرى طالما
بيدى بصيص من وسيلة

مالي على الهجران من
قدر ولا لي فيه حيله

سنعود يوما، انما
هاك الزجاجة يا جميله

Digitized by Birzeit University Library

لقاء مع سميح فرج

اجرى اللقاء ابراهيم جوهر

تتزاحم الاسماء بكثرة حاشدة في اول الطريق ، منها من ينكص ويتراجع بعد اول وخزة ومنها من يواصل ويتعلم كيف يضمد جراح وخزات الطريق الوعر والشائك .. وتبقى الاكتاف المتراصة كفيلة لانجاح اغنية البقاء والديمومة التي تنشد الحياة الافضل .

ومن الاسماء الطالعة من عمق المخيم المقهور " سميح فرج " الذي يسعى دائما الى امتلاك اداته الخاصة ضمن اطار متفرد لا ينفي الاطار العام ، فنيا واجتماعيا وسياسيا .

الاسم : سميح فرج
البلد الاصلي : رأس ابو عمار
مكان الولادة : بيت لحم
تاريخ الولادة : ١٤ / ٦ / ١٩٥٥ .
مكان الاقامة الحالي : محطة الدهيشة
العمل : مدرس
المؤهلات العلمية : دبلوم دار المعلمين التابع لوكالة الغوث برام الله ـ لغة انجليزية .
وحاليا طالب في كلية المعلمين ـ جامعة بيت لحم ـ ادب انجليزي .

س١ : كيف كانت بدايتك مع الشعر ؟ وبمن تاثرت ؟

□ كانت بدايتي مع الشعر بداية عشق ، اقسى انواع العشق ، كنت في بداية المرحلة الاعدادية عام ١٩٦٨ ، حين احببت قراءة الشعر وفي الصف الثالث الاعدادي درسني اللغة العربية الاستاذ الشاعر عيسى العزة ، وما اورع ان يكون استاذ اللغة العربية اديبا ملتزما . فقد اعجبته كتابتي النثرية فشجعني وتابعني شعريا فيما بعد . كنت اكتب وامزق واكتب وامزق وفيمابعد اخذت انشر بشكل غير منتظم حتى كانت البداية الحقيقية والتي من خلالها شعرت بالارتياح لما اكتب . كان ذلك عام ١٩٧٨ .

اما بالنسبة لقضية التاثير بشعراء معينين فانني اتحسس بين ثنايا احرف كلمة التاثر بعض ملامح التقليد ، لذا فانني تذوقت شعر شعراء اكثر من غيرهم مثل الشعراء عيسى العزة ، محمود درويش ، علي الخليلي ، خليل توما ، سميح القاسم ، معين بسيسو .. وغيرهم من الشعراء الفلسطينيين ، والشعراء : السياب ، نازك ، ادونيس ، البياتي ، وغيرهم ..

Digitized by Birzeit University Library

س٣ : ما هو تقييمك لذاتك الشعرية (كشاعر) وللحركة النقدية في الارض المحتلـــــة ؟

□ لا يحق لشاعر ان يقيّم شعره للاخرين . ويحق لهم ان يقيّموا شعره . ومنا لا بد من اشارة وهي ان علاقة التفاعل . التي تتولد من قراءة القارئ للقصيدة قراءة شعرية او سماع السامع لها بوجدان شعري ، هي المعيار او المحك للتقييم، على ان تكون علاقة واعية ، وقد وجدت هذه العلاقة بالنسبة لشعري ممتازة . حيث انني اومن ان فهم الشاعر لذاته بالدرجة الاولى هو اساس التوهج الواعي في شعره وهو الخطوة الاولى لفهم الواقع والنجاح في تطويره .

اما بالنسبة لتقييمي للحركة النقدية فانني ارى انه اذا جاز لنا التعبير بان هناك حركة نقدية في الارض المحتلة فهي حركة لما تتجاوز مرحلة الطفولة . فالنقد عندنا يكون احيانا بشكل موسمي ، وعلى شكل صفقات احيانا اخرى فكثيرا ما ينطبق على الناقد القول (صمت دهرا ونطق كفرا) واحيانا (يبصق عكس الريح) وقليلون هم الذين ينقدون من اجل المبدأ والادب بنقا . وقد يكون من اسباب ذلك ان بعض النقاد تكون احدى يديه تمسك قلما والاخرى تتحسس دفء جيب الفلوس . بالاضافة لاسباب اخرى تعرفها كل القاب الاستذة والطواويس . فلا بد للناقد من ان يتذكـــر بان عهود مدح الخلفاء قد انتهت ، وعهود الفروسية قد انتهت . وان الناقد عليه ان لا يكون كالنائم الذي يحاول ان يتثاءب فجأة ، ذهنه في حلم ويداه المتجعيدتان في مناخ آخر فنحن بحاجة الى صحوة نقدية تتميز بالوعي والاصالة والصدق والالتزام والانتماء ، تدرك ما في جعبتها وما يدور حولها من تفاعلات وافرازات .

س٣ : لماذا تكتب ؟ ولماذا اخترت هذا الجنس من الادب ؟

□ ان الذي يواجه الواقع مواجهة انفعاليـــة آنية كثيرا ما يكون رد فعله هو الصراخ او الضرب والتكسير .. الخ اما الذي يواجه الواقع مواجهة مستمدة من فهم روحي لهذا الواقع فانه يعمل على تغييره باساليب كثيرة منها الكتابة والتي اعتبرها اعدادا للمراحل الاعلى للتغيير .

اما اختياري لجنس الشعر فيعود لسببين : الاول هو سيكولوجي لا يفسر تفسيرا منطقيا والثاني هو قناعتي بان القصيدة المتوهجـــة الواعية اقدر على التغيير والتفاعل مع الزمـن والانسان من غيرها من صنوف الادب .

س٤ : ما هي سبل تطوير الحركة الادبية في الارض المحتلة ؟

□ سبل تطوير الحركة الادبية هي كثيرة واهمها خلق حركة نقدية ملتزمة واعية ومتطورة ، وزيادة عناية بعض الصحف والمجلات بفرز المواد التي تستحق النشر من التي لا تستحق ، وكذلك تعزيز اللقاءات الادبية بين الجامعات والمعاهد والمؤسسات وبالاضافة الى العمل على خلق اتحاد او رابطة كتاب قادرة على دفع الحركة الادبية الى الامام ، تتجاوز كل التناقضات في سبيل الصالح العام وتعلق املا كبيرا على دائرة الكتاب في جمعية الملتقى الفكري .

س٥ : هل ستصدر مجموعة شعرية في المستقبل ؟

سوف اصدر مجموعتي الشعرية الاولى في المستقبل القريب وهي تحمل اسم " عباني موج البحر وقال " .

صدر عن
دار الكاتب

كنعان
يقرع الاجراس

شعر
عطاالله قطوش

Digitized by Birzeit University Library

لينين والقوى المحركة لحركة التحرر الوطني

بقلم أبو أحمد - نابلس

لقد فضح لينين المستعمرين وجرائمهم العنصرية واضطهادهم للشعوب التي استعمروها وفي نفس الوقت اوضح لنا عن التناقضات المتزايدة في داخل النظم الاستعمارية واوضح الانهيار المحتوم للقوى الاستعمارية التي تنشئ في داخل الشعوب المستعمرة طبقات تناضل ضد هذا الاستعمار وهذه الطبقات هي الطبقة العاملة والبرجوازية الوطنية والشرائح الاجتماعية اليمينية وعندها تصبح هذه الطبقات متحدة مع الفلاحين وسائر القوى الوطنية وتكون حفارة لقبر المستعمرين ولقد ربط لينين نضال الطبقة العاملة البلدان الراسمالية مع حركة التحرر الوطني في الم[illegible] البلدان التابعة عندما طور التعاليم الماركسية حول المسالة الوطنية والاستعمارية وقدم مفهوم واضح للثورة الاشتراكية ولقد خاض لينين نقاشات حامية مع البرجوازية والانهزامية والانتهازية الذين انكروا دور شعوب آسيا وافريقيا في النشاط الثوري الخلاق وقد كان لينين اول ماركسي يعطي تقييما نظري اصيل للمرحلة الجديدة من مراحل الحركة المعادية للاستعمار وقد تناول هذا المقال الدور المتصاعد لنضال الدول الاسيوية

ان بداية الثورة في روسيا قد ايقظت شعوب آسيا ودعت مئات الملايين في المسحوقين المقهورين في مياهب الظلمة من سبات القرون الوسطى لحياة جديدة وقد هبوا اليوم للنضال من اجل نيل حقوقهم الانسانية والديمقراطية.

استيقاظ آسيا وبداية الصراع من اجل السلطة بواسطة البروليتاريا التقدمية في اوروبا هما رمز الصفحة الجديدة في تاريخ العالم. وقد اوضح لينين ان مدى التاثير التي ستحدثه شعوب الشرق المناضلة من اجل حريتها وان الدور التي تلعبه الدول الامبريالية الاستعمارية ما هو دور مؤقت وانتقالي ولقد اثبتت نظرية لينين حول المسالتين الوطنية والاستعمارية صحتها فبعد انتصار ثورة اكتوبر حصلت ٥٠ دولة على الاستقلال الوطني بحيث تضاءل نفوذ النظم الاستعمارية.

والمنهجية اللينينية تدلنا على ان انهيار النظم الاستعمارية عملية ثورية تؤدي الى انهاء التقسيم السياسي للعالم بين القوى الامبريالية بسبب وجود التعاون الوثيق بين الحركة الوطنية من جهة، والمنظومة الاشتراكية من الجهة الاخرى ولقد نمت حركات معادية للامبريالية حتى في الدول الضعيفة التي لا تكاد توجد فيها بروليتاريا او برجوازية محلية. والتي لا تزال تسود فيها علاقات ما قبل الراسمالية بل حتى ما قبل الاقطاع.

واكد لينين على تحالف القوى الوطنية - الطبقة العاملة والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والوطنية، في الصراع ضد الامبريالية. كما اشار على ضرورة التحالف بين هذه القوى من جهة

Digitized by Birzeit University Library

والحركة الثورية العالمية وعلى راسها البلدان الاشتراكية .

واعتبر لينين ان القوة العاملة اشد واقوى الطبقات الثابتة وحسما ونضالا ضد اشكال القهر في قوى التحرر الوطني .

وقد تاكد قول لينين عندما برز دور العمال في حركة التحرر الوطني بانمستعمرات وهناك مقال نشر للينين "مادة قابلة للاشتعال في السياسة العالمية ".

وتناول هذا المقال الدور المتضامن لنضال الطبقة العاملة ضد الامبريالية في الهند وغيرها في البلدان الاسيوية . ووصل لينين الى النتيجة المهمة التالية " ان العاملة الاوروبي الواعي طبقيا قد اصبح اليوم له رفاق في آسيا وينمو عدد هؤلاء الرفاق بالقفزات والطفرات ".

ونجد لينين يقول " في الهند ايضا تطورت البروليتاريا الى الكفاح السياسي الواعي الجماهيري " وان تدابير السياسة الامبريالية الاستعمارية " .... سوف تصهر ملايين بل عشرات الملايين من البروليتاريا في آسيا لكي يخرضوا كفاحا ضد قاهريهم وسيكون كفاحا منتصرا وتاكدت صحة هذه الاقوال فان الطبقة العاملة حملت العبء الاكبر في الكفاح ضد المستعمرين عن طريق تنظيم الاضرابات الجماهيرية والمظاهرات والمقاطعات وحملات العصيان المدني وغير ذلك ،ونلاحظ ان الطبقة العاملة هي التي قادت اكثر الاعمال جماهيرية وفاعلية ضد الامبريالية رغم ان الطبقة العاملة لم تكن قائدة ثورة التحرر الوطني في الهند مثلا .

ونلاحظ ان البروليتاريا قد جذبت شرائح شبه البروليتاريا وجماهير الفلاحين الى المعركة وبذلك جعلت حركة التحرر للبلاد شاملة باسرها وعندما يتحقق الاستقلال تواجه الطبقة العاملة مهمة كفالة التحرر الاقتصادي والدفع الى الامام بالتقدم الاجتماعي .

وفضلا عن ذلك فان طبقة البروليتاريا يزداد وعيها الطبقي يوما بعد يوم وذلك نلاحظة في تضاعف كفاحها السياسي والاقتصادي وسعي الى تشكيل الوحدة مع سائر القوى التقدمية المعادية للامبريالية .

ولا يتوقف الدور السياسي للطبقة العاملة على قوتها العددية بالنسبة لمجموع السكان ويقول لينين : " اننا في وضع ينبغي لنا فيه ان نستحث الجماهير على التفكير السياسي المستقل والعمل السياسي المستقل ، حتى حيثما تكون البروليتاريا غير موجودة من الناحية العملية ".

وان من مخلفات الاستعمار التي اثرت على الطبقات العاملة ، الامية المتفشية واغراقها في الاوهام والغيبيات وميلها الى وضع مصالحها القومية او العنصرية الطائفية فوق المصالح الطبقية والسياسية لمعركة التحرر الوطني .

وفي البلدان النامية نجد نشاط الطبقة العاملة محطل بسبب قلة العمال الصناعيين بالنسبة للعمال الزراعيين وان هؤلاء العمال الزراعيين لا يقبلون على التنظيم الجماهيري ويتخذون في الغالب موقفا وسطا بين القرية والمدينة . ويتطلب تغيير هذا الوضع الكثير من الوقت والجهد ويمكن دفع عجلة هذه العملية الايجابية والتقدمية الى حد كبير اذا ما اتخذت مختلف فصائل الطبقة العمالية فكرة الوحدة العمالية لمعركة التحرر الوطني .

وان قيام تحالف ثورى بين القوى العاملة اكثر قوى التحرر الوطني ثباتا مع الفلاحين وهذا التحالف منطقي تماما لان الفلاحين اكثر القوى الدافعة في حركة التحرر عددا ولعبوا دورا فعال في النضال ضد الامبريالية وكان اشد المناطق تمردا في الريف وسط افقر الفلاحين .

ويقول لينين " ... ان جماهير الكادحين من الفلاحين في البلدان المستعمرة ما زالوا متخلفين ولكنهم يلعبون دورا ثوريا هاما للغاية في المراحل القادمة للثورة العالمية ".

وان الفلاحين في الشرق قبل ثورة اكتوبر كانوا حليفا سياسيا سلبيا للبرجوازية وتحالف الفلاحين والبروليتاريا استطاعت في بعض البلدان ان تقود الى النصر ثورة الشعب والتي فتحت آفاقا واقعية للتحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ولا يمكن لهذه الثورة ان تتقدم الا بالتحالف مع الاشتراكية العالمية .

ويقول لينين " ان بدون هذا التحالف الثورى بين الطبقة العاملة والفلاحين فان الديمقراطية تهتز والتحول الى الاشتراكية

Digitized by Birzeit University Library

وطنية منادية بالاستقلال السياسي وفي ظل هذه الشعارات يقيمون تنظيمات واحزابا سياسية ويعقدون الاجتماعات وينظمون المظاهرات ويرفعون النداءات والبيانات الوطنية وينضمون الى الجيوش الثورية . وعندما تظفر المستعمرات بالاستقلال تبدا تغيرات عميقة حافلة بالتناقض بين الفئات اليمينية المتوسط فنلاحظ انهم اصبحوا ياخذون بسبيل الفوضوية والتطرف في الايديولوجية ويساعد التطرف عددا من ممثليها الى شق طريقهم بين صفوف موظفي الحكومة الذين يعملون على اثراء انفسهم واثراء البرجوازية التجارية المتوسطة معهم .

وتلاحظ ان الفئات اليمينية تطرح شعارات

ومناسبة الحركات الفلاحية لحركات مغامرة متمردة هي ليسار حول " محاصرة مدينة العالم بريف العالم" سيودى الى عزلة وهزيمة هذه الحركات.

وفي ظل الظروف المعقدة يجب على الزعماء الثوريين ان يبدوا مرونة هائلة في مساعيهم من اجل كسب الفلاحين الى جانبهم ويقول لينين مشيرا الى جمهرة السكان في الشرق المستعمر " فلاحون خاضعون لاستغلال العصور الوسطى " والشيوعيون يضاعفون نشاطهم وسط جماهير الفلاحين ويحملون الى اذهانهم ايديولوجية البروليتاريا

شركة البناء والتقدم

جميع اعمال تعهدات الحجارة والرخام

البيرة
المنطقة الصناعية
تلفون
٩٥٤٥٦٠

شركة البناء والتقدم
فهمي عفيف واحمد هلال

Digitized by Birzeit University Library

وانفلقت القوقعة

قصة محمد جمال

اصبحت حياته مملة ... الساعات قبيحة واستمرار البقاء امر مطلوب ... امر مفروض رغم صعوبته ... اللحظات متشابهة .. نسخا من الكربون عن اصل واحد ... لها عامل مشترك واحد ، ومتوسطها الحسابي الكبت والقهر والظلم والعذاب والمزيد من الضياع والتشرد .... يتلفت نعيم حوله .. الايام تمضي والسنون تمضي .. وما زال يواجه الجدران .. يدهنها .. ينقشها ... تختلف الجدران وتختلف الوان الدهان ، وتختلف النقوش ولكن الجدران تبقى جدرانا .. هل سيمضي حياته هكذا ؟ ... لقد انهى دراسته الثانوية بتفوق وحصل على منحة من دوله كبيره منحه كامله ولكنه لم يستطع الدهاب .. لقد منعوه ..

ـ لقد حل احدى الجامعات المحلية .

ـ .....

ـ الا تروق لك ؟

ـ ليس هذا ما في الامر .

ـ فما هو المانع اذن ؟

ـ المانع انني اريد ان ادرس الطب ... اعتقد انه من حقي ...

ـ يعني ضرورى طب ..

ـ منذ طفولتي وانا احلم بان اكون طبيبا .

ـ يا أخي ـ على قد ثراثك مد رجليك .

ـ لن انازل عن حقي في دراسة الطب حتى ولو آخر يوم في حياتي .

... رغم لحيته الطويله وهندامه الر ... الا ان نظراته تنم عن الذكاء .. انه صامد ـ الدوام .. لايبحدث الا اذا تحدث الية ح

Digitized by Birzeit University Library

كانت زفرات القهر تخرج زرقاء من سيجارته التي لا تنطفئ ... فاذا تحدثت اليه ظهرت لك اسنانه بلون بني غامق .. كان يخطط لجمع رأس مال ليبدأ مشروعا صغيرا حتى يفرجها الله ....

ولكنه لم يستطع ان يجمع شيئا خاصة وان والده اصبح غير قادر على العمل وهو الان طريح الفراش واصبح نعيم بكره روتين ايامه القاتل يسير وحيدا مطرقا على الدوام .. يفكر .. يحاول قطع المشاوير ولكنها تتقاطع كلها وتعود به الى نقطة البدء .. يضرب كفا بكف .. ما بين يديه يساوى صفرا .. يغرق في دوامة اللاشيء ...، ولكن قلبه يعتمل بالكثير ..يسير على غير هدى .. ، ترشق نظراته شرفات العمارات والوان السيارات يصل الى العمارة التي باشر فيهاالعمل قبل اسبوع .." ان ابن صاحب هذه العمارة كان في صفي .. كان معدلي في الشهادات النهائية .. اكبر من معدله ولكنه ابن صاحب هذه العمارة "..

انه يدرس الان في لندن .. في لندن اما انا فكتب عليّ الدهان والنقش نقش الذواوير والاشكال الهندسية .. في اى لوح كتب عليّ هذا ؟ في اى لوح ؟ يقطع سرحاته ظهور صاحب العمارة بكرشه المنفوخ .. لا يدرى لماذا . تذكر تلك اللحظة والده بظهره المحني .. دارت الصورتان في رأسه .. صورة والده وهذا الرجل ذو الكرش المنفوخ والصلعة اللامعة .. وعرف ان البشر امثاله وامثال والده هم الاقربون الى الارض ..اجل هم الاقربون الى الارض بحيث لا تحجزهم عنها كروش منفوخة ولا غيره ... بل يزدادون اقترابا والتصاقا بها بمضي الزمن ...

ـ ماذا هناك ؟ .. بماذا تفكر .

ـ .....

ـ " بلا يا زفت شوف شغلك " .

" زفت " .. انا " زفت " .. " ما قيمة شهادتي القابعة في صندوق الملابس الرابض في ركن الغرفة .. ان الشهادة بدون عمارة لا قيمة لها في نظر هذا الرجل .. ان معدلي يفوق معدل ولدك وشهادتي تقبع في الصندوق اما شهادة ولدك فانها معلقة باطار في بهو منزلكم .. يشعر بالغثيان .. بالدوار .. بالغضب ..يزيد من الغضب على غضبه المكبوت .. يخرج الغضب المتوقع .. يخرج للوجود .. يخرج ليضع النقاط على الحروف .. وهذا الرجل .. هذا الكرش المتخم .. هذا الحرف .. احد الحروف الكثيره .. ولا بد من وضع النقطة .. يندفع نعيم يكبت السنين .. يندفع بدموع والدته ومعاناه والده .. لا بد من وضع النقاط على كل الحروف لقد سئم نقش الجدران .. (وظفر " من الدواوير والاشكال الهندسية ...

ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

الغرفة صغيرة .. رطبة .. يحن للتدخين يشعر بقيمة السجائر .. ، يطلبونه للتحقيق ...

ـ لماذا حاولت قتله ؟؟

ـ .....

ـ تحرياتنا تقول بانك اصبحت في الفترة الاخيرة مسالما وتوقفت عن الشغب .

ـ ....الشغب ... هل مطالبتي بحقي تسمونه شغبا

ـ لماذا لا ترد .. لماذا حاولت قتله ؟

وتطن كلمة " زفت " في اذنيه ....، تتطلق القوقعة ..ينفجر الغضب الساكن في حبات العيون يصرخ الحزن الداكن .. تصرخ آلام السنين ...

ـ ان الالم والحرمان يصنعان المعجزات ، ولتعلم ان الشمس تغمر جوفي رغم صمتي .

ـ انت تفهمني ولكنك ترفض الاعتراف بذلك .

ـ اخبرني ماذا تريد ؟

ـ اريد جدارا لي .. اريد ان اعلق شهادتي .. اريد ان تخرج الشهادة من الصندوق .

ـ ومن يمنعك من ذلك ؟

ـ انت .. وهو ...

ـ من هو ...

ـ الحرف ... الكرش المتخم ..

ـ افهم من ذلك انك مصر على آرائك .

ـ اجل ولن يستطيع احد ان يثنيني عنها .

ـ خذوه .

يعيدوه للغرفة الصغيرة .. يتذكر شهادته القابعة في الصندوق انه يشبهها الان .. يبصق في الهواء . هل ستخرج الشهادة من الصندوق هل سأدرس الطب ؟ يتلفت بأسى .. تلفت نظره كلمات مكتوبة بدقة على الجدار .. يدقق النظر كلمات لا بد وقد كتبها زائر قبله .. قرأها .. لا بد للقيد ان ينكسر . تنهد ... واغمض عينيه محاولا النوم في انتظار ان يطلبوه للتحقيق مرة اخرى .

Digitized by Birzeit University Library

نيكولاي أستروفسكي

بعدما قرأ الكاتب " رومان رولان " رواية الكاتب السوفييتي " نيكولاي اوستروفسكي " " كيف سقينا الفولاذ " ، كتب اليه قائلا : " بالنسبة لي فان اسمك مرادف للشجاعة المعنوية الفذة والنقية ، انا معجب بك بحماس شديد ، ومع انه واجهتك حياة قاسية فلتكن على يقين بان هدى الحياة ستكون منارة لمئات الالاف من الناس وسيتذكرك العالم الذى ضربت له مثلا رائعا لصلابة الروح والايمان المتقد.

لقد اصبحت بين شعبك انسانا عظيما وشخصية نادرة".

حتى تحمل لقب شخصية نادرة " عليك ان تكون حقا انسانا فوق العادة ، و " نيكولاى استروفسكي " هو حقا انسان فوق العامة يمتلك شخصية شجاعة ، وهبها لبلده وشعبه.

ورغم ان حياته انتهت مبكرا – توفي عام ١٩٣٦ ولم يتجاوز الثانية والثلاثين عاما من عمره – فقد كتب روايتان هما : " كيف سقينا الفولاذ " و " ميلاد العاصفة ".

وكلتا الروايتين تعتبران من كنوز روائع الادب السوفياتي ، حيث ترجمت الى اكثر من اربعين لغة عالمية وتداولها ملايين القراء في ارجاء العالم المختلفة.

وقد قال الكاتب السوفياتي " بوريس بولافوى " عن " يافل غيبرتشاغن " بطل رواية كيف سقينا الفولاذ" لقد عبر الى العالم من فوق الجبال والمحيطات ، ولقد كون صداقات عظيمة بين جمهور القراء في سائر ارجاء العالم.

وهذا لا يدعو الى الدهشة مطلقا فبالنسبة لاستروفسكي فقد جسد في شخص بطل روايته اروع ميزات الجيل الذى صنع الثورة في روسيا: حيث انه نفسه اضطلع بدور ملموس في صنع الثورة بيديه الصلبتين.

فقد ولد عام ١٩٠٤ ولم تسنح له الظروف في اتمام تعليمه في طفولته حيث انه الابن الخامس لاب عامل في معمل للتقطير ولام عملت غسالة في بيوت الاغنياء.

بدأ اوستروفسكي العمل وهو في الحادية عشرة من عمره في محطة للقطارات في "اوكرانيا" وكان يتابع دروسه في المدارس العمالية الليلية.

وحينما بدأت الثورة الروسية ساعد الثوريين البلاشفة ببسالة ، تارة يلصق البيانات، وتارة يستطلع وينقل معلومات عن جيش الثورة المضادة.

في صيف عام ١٩١٦ احتلت وحدات الحرس الابيض بقيادة الجنرال دينيكين

Digitized by Birzeit University Library

" اوكرانيا" وحاول اوستروفسكي بصعوبة الالتحاق بالجيش الاحمر لكن طلبه كان يرد باستمرار بسبب صغر سنه .

وعلى اثر ذلك لجا كاتبنا الى خدعة فقد هرب نفسه على متن قطار مسلح للجيش الاحمر، وبهذه الطريقة بدا اوستروفسكي نضاله من اجل الثورة مدمشا المتطوعين الذين يكبرونه سنا بشجاعته وصموده حيث ساهم في عدة معارك راى الكثير فيها وعانى الكثير ، ورغم نه لم يتجاوز السادسة عشرة ربيعا ، فقد كان ناضجا وثوريا متمرسا واصيب بجروح مرتين في جبهات القتال ، وفقد احدى عينيه ، الامر الذى اضطر معه الى ترك العمل في الجيش الاحمر مكرها.

وبعد انتصار الثورة على قوات المتدخلين الاجانب والحرس الابيض واصل نضاله في ظروف لا تقل صعوبة ضد اعمال التخريب الاقتصادى والمجاعة التي مارستها بقايا الطبقات البائدة ومن اجل عالم جديد تسوده الاشتراكية ويزول فيه استغلال الانسان لاخيه الانسان .

وبغض النظر عن صحته الغير مساعدة كان دائما اوستروفسكي في طليعة الشباب المتحمسين كان يدرس ويعمل في بقالة لسكة الحديد . وعندما الزمه المرض الفراش وتقلص العالم الواسع ليصبح امامه اربعة جدارن هي غرفته ،استمر في نضاله الشرس من اجل الحياة ، حيث قام في خريف ١٩٢٠ اولى محاولات الكتابةوكان يساعده بنقل افكاره على الصفحات البيضاء امه وزوجته وبعض اصدقاؤه .

وقال الكاتب الهنغاري " ميث زالكا" والذى كان قائدا لاحدى الكتائب الاممية التي حاربت في الثورة الاسبانية ، قال عن اوستروفسكي بعد زيارة له .. " لقد وجدته رجل شجاع ومناضل قوى .. لم يثنيه المرض ابدا" .

وفعلا .. لقد كان مناضلا شرسا ، وهب نفسه كليا لخدمة ابناء شعبه مما اثار الاعجاب في نفوس الشبان . لقد وجد القرار في ثورية إبافلا " بطل الرواية " وصلابته العنيدة وخصوصية تحمله للمصاعب بطلا وطنيا ورجلا فذا.

.وعندما بدات الحرب الوطنية العظمى .. كان يصطحب المقاتلين السوفييت في رواية اوستروفسكي وكثيرا ما وجدت الرواية مغمسة بدماء الذين سقطوا دفاعا عن ارض وبلد اكتوبر العظيم وصف مارشال الاتحاد السوفييتي جوكوف " بطل الدفاع عن الفولغا " وصف قواته بانها جيل جديد لطراز كورتشاغين

وكرمت الحكومة السوفياتية الكاتب اوستروفسكي بجائزة لينين . ويقرا الانسان في فصل " الفولاذ سقيناه" من الرواية : ان أثمن ما يملك الانسان هو حياته . وتعطي له مرة واحدة ليحياها ، وعليه ان يحياها بحيث لا يندم مطلقا علي السنوات التي يقضيها دون هدف ، وحتى يكون الانسان قد حيا حياته بالفعل ولا يندم على ما فات عليه ان يقول قبل ان يموت : كل حياتي .. كل قوتي وهبتها لاجل اروع قضية في العالم الا وهي قضية تحرر الانسان " .

صدر عن دار الكاتب

لواحدة

هي انت

شعر

منير ابراهيم

Digitized by Birzeit University Library

تلاحية التكوين

شعر عبد الناصر صالح

استوحي منك معاني الايام المخضرة والجديدة /
اعتنق صليبك ، دمك القرحيّ
وابلغ تحت مناخك مرحلة التكوين ،
مواعيد الزمن الهمجي
وانسى عمري /
يا امرأة الليل هبيني عمري
وافيني بالدمع الواهي
ارقد تحت مناخك
احفظ اسماء الفقراء /القتلى والقتلى /الفقراء
اتخلص تحت مناخك من دنياي العاقرة البكماء
واسترجع في سنوات الصمت كلامي
لغتي /
وجذوري
استرجع صوتي
مشدودا باليقظة والحزن المتألق احزم امتعتي /
اتعثر بالليل المتكدس فوقك
اتعثر بحبال الشنق / صكوك الغفران
وانزع عن لحمك ثوب الارث
انزع عن لحمي ثوب الارث
احبك في زمن الخوف / الكفر / التبعيّة
في زمن الاحكام العرفية

يا امرأة الليل خذيني ،
اتفجّر قدّامك قنبلة عصافير حمراء
خذيني /
خذيني منك نسغ الميلاد الغابر
نسغ الميلاد الاتي
يا امرأة الليل
لو املك مركبة توصلني لنهاية هذا الحلم /
وتعلل اهدابي بحكايا الماء
لو املك قنديلا احمر في ليل الغرباء ،
لو املك في حضن الروء يا الفجرية
عينا سحريّة
لرأيت سقوط السحب التائهة ،
وحشرجة الاضواء
ها صوتي يتلعثم بغبار التكوين
وتحت مناخك استرق هواي
اعانق قلبي /
اسقط طفلا للوحع القادم
عرّافا للعشق
استوحي منك معاني الوطن الدموي ،
وذاكرة الاقمار القتلى
استوحي جغرافية الاشيا

Digitized by Birzeit University Library

اتابع فيك نهاري

الى خليل زقطان .. الى شهداء الكلمة ..

شعر ابراهيم نصر الله

.. ستٌ زنابقَ تذبل في صدر امي
وثمةَ زنبقة في الشمالِ
تغالبُ احزانها والرصاص
افتعلتْ الورودَ المضيئةَ حين تبسمتْ
فانطلقتْ من يدي رجفةٌ
فتصلبتْ
كان النهارُ يمرُ بطيئاً كأيِّ نهار!
وفي وجهكَ الشجريِّ يفورُ الندى مفعماً
بدماء القصيدِ
وحزنِ البحار

*** **** ***

أُتابع فيكَ نهاري
واتركُ للحزنِ في صوتِ امي الاغاني
لأخرجَ من دمعةٍ ترتديني
... ...
أُرافق فيكَ جذوري
وارحلُ ممتلئاً بامتدادِ الاماني
لامعنَ في طلقةٍ تشتهي
وها وطنٌ في يتكىءُ الآنَ فوقَ جراحي
يجيءُ اليكَ
ويكشفُ سرَ الحياةِ الذي لا يغادرُ عينيكَ
انتَ الصباحُ المضرجُ بالطيبةِ القرويةِ
والكرمُ حين تضيءُ العناقيدُ
والحلمُ يتلاصبايا المخيمِ للارضِ
حين يمرُ شهيدُ

*** *** ***

.. سبعُ زنابقَ توقدُ في صدر امي بساتينكَ الطيبةُ
وثمةَ صمتٌ يهبُ على خطوتي المتعبةُ
كأنَ العصافيرَ تشتعلُ الآنَ في لغتي
والهواءُ يغربُ في رئتي .
ساقاسمكَ الان صوتي
وأنمو على شفتيكَ
وحلمي
واكبرُ في مقلتيكَ
وحرثَ البيوتِ القتيلةِ
ثم أحجُ اليكَ

Digitized by Birzeit University Library

أجمعُ فيكَ المدى الخصبَ
والرحمةَ العشبية ،
أستمطرُ الحلمَ في وهجِ التربةِ الساحلية
تفتحُ لي دفترَ الشعرِ
تقرأُ ما يتيسرُ من فرحِ الارضِ
ما فاضَ من دمِ اشجارها
وتقلّبُ صمتَ المساءِ
على جمرةِ الكلماتِ الاليفةِ
تبحرُ في شمسِ اسرارها
وتخبيءُ في القلبِ شيئاً من الحزنِ
تطلقُ سرباً من القرات
لتقرأَ حين تفيضُ الشوارعُ بالقتلِ
اغنيةَ النهرِ وردا
وتحفظَ للموتِ سرَ للحياة

*** *** ***

وينتفضُ البحرُ فينا بلاداً موقعةً بالقصائدِ
والبرتقالِ الحزينِ
المواقدِ
او بهجةِ الياسمينِ
اذا ما ارتدينا عناوينَ اشلائنا
وانتشرنا
ورودَ حدائقنا .. وانفجرنا
حنينَ الغيومِ التي لم يزلْ ماؤها في يدينا
وحينَ يتابعنا القاتلون
نلوذُ بافياءِ أجنحةِ القبراتِ
ونكتبُ ،
ما قالهُ الشهداءُ
وما لم تُقلْهُ الغصون .

ردود القراء

الصديق موسى حداد ، قصيدتك الجميلة سيتم نشرها في الاعداد القادمة .

الصديق عز الدين البطاوى / عمان :
قصيدتك على مذبح الغربة تدل على موهبة شعرية حاول مرة اخرى ولكن عليك الاهتمام بمواضيع قصائدك .

الصديق محمد شريم :
قصيدتك " الاقفاص والسلالم " تعتذر عن نشرها لاسباب خارجة عن ارادتنا .

الصديق محمد زحايكة / جامعة بيرزيت :
قصتك الطريد تبشر بامكانات جيدة ، هناك ضعف في استخدام الرمز .

الصديقة رائدة عوض :
خاطرتك مليئة بالعواطف الصادقة النبيلة ، ولكن العواطف وحدها لا تكفي ، شكرا لك ويسعدنا ان تكوني صديقة دائمة للمجلـــــة .

الصديقة مها بركات / رام الله :
اهلا بك صديقة للمجلة وشكرا على كلماتك المشجعة ، نحن بانتظار اعمالك الادبية الاكثر عمقا .

الصديق جميل حسين الحوساني :
نعتذر عن نشر قصتك القصيرة اليقظة ومسرحيتك من فصل واحد . ننصحك بزيادة التركيز في اعمالك الادبية المقبلة .

الصديق منير احمد برانسي / طولكرم :
مقالتك " المرأة في الدولة الاشتراكية " مثيرة للاهتمام وخاصة اننا بحاجة الى المواضيـــع المتعلقة بالمرأة . ولكن حتى تصبح المقالـة صالحة للنشر لا بد من ايراد الارقام والاحصائيات نرحب بك دائما .

الصديق رياض بيدس :
قصتك " ما بين الموت والغبار زرعني الورد الاحمر " مفرطة في الرومانسية والذاتيـة وهي بذلك تبتعد عن ما تحاول تقديمه للقراء . مع ترحيبنا بك دائما .

Digitized by Birzeit University Library

الديمقراطية الحقة و تخاريف البرجوازية

ترجمة جورج دباغ

لن الحرية والديمقراطية من اقدم مطالب البشرية ، وقد كتب عن ذلك هيرودوتس — ابو التاريخ — في القرن الخامس قبل الميلاد عن المحاورات الشهيرة التي كانت تحدث عن مجادلات الناس " لتحطيم الاوتوقراطية وان يكون الشعب هو الحاكم ، لان الديموقراطية وحدها هي افضل انواع الحكم لجميع الناس " .وهكذا فان هذه المجادلات عن الديموقراطية قديمة قدم العالم .

وفي ايامنا هذه ، فان الديموقراطية تبقى المسالة الرئيسية في الصراع بين العالمين ، الراسمالي والاشتراكي . وهذا هو المنطق . ومع تخطي حدود المباحثات الايديولوجية ، فان الديموقراطية — لسوء الحظ — اصبحت العوبه في يد الدول الغربية واستغلت للتدخل الايديولوجي في شؤون الدول الاشتراكية والحركات التحررية والتحركات العمالية ، وضد الانفراج في العلاقات الدولية

ما من شك بان جميع الطبقات الصاعدة تأخذ بعين الاعتبار الظروف المعقدة لعصرنا ، وفي العادة فان الرجعية تبدا بالصراخ " دفاعا عن الحرية " عندما تهدد الحركات الشعبية امتيازاتها . .

وجدير بالذكر ان هذا ما حدث بالضبط في اكتوبر عام ١٩١٧ ، وفي الدول الاوروبية بعيد الحرب العالمية الثانية . . وهو ما يحدث الان في بلدان العالم الثالث الطامحة لحياة اوفر حرية وعدلا . .

ان الاقطاعية التجات الى هذه الحيلة عندما كانت البرجوازية تتقدم لاستلام السلطة . اما اليوم فان البرجوازية والامبريالية تستخدمها بشكل واسع .

ان التشديد من قبل الدعاية الغربية عن

Digitized by Birzeit University Library

• مشاكل الديموقر في الصراع الايديولوجي ضد الاشتر وبذلك فان خراف " التهديد السوفييتي " قد صممت من قبل الدعاية الغربية لعرقلة التحولات الايجابية في العلاقات الدولية ولنسف سياسة الوفاق العالمية واذا اردنا ان نلمس احدى مثل هذه الدعايات والتي تدور في العالم ، لنر ماذا كتب البروفسور ج . ب . كيستيا كوفسكي ، احد مستشاري البيت الابيض ، لقد كتب يقول " موت اخرى، وكما حدث في الماضي ، فان اصواتا كثيرة وتتنقد في هذه البلاد تحث وبشدة على الحرب الباردة وترفض الجهود التي تدعو الى الاعتدال — هذه الجهود التي تترجم في هذه البلاد على انها خدمة لمخططات موسكو التوسعية ". وقد تساءل هذا البروفسور قائلا " هل هوس العظمة هذا ضروري لامن البلاد ؟؟

حتما فان هذا غير ضروري ، ان هذه التظاهرة الوضية يمكن فقط ان تنسف الامن وتازم الوضع العالمي .

ان هذه الدعاية المفتعلة حول " حقوق الانسان " بدات ترتفع عندما بدات الطبقات البرجوازية تشعر بان الشعب في بلدان الديمقراطيات الاشتراكية يتمتع بديمقراطية حقيقية وحقوق اكثر بكثير مما يتمتع به الناس الذين يعيشون في البلدان الرا

وقد اجاب البروفيسور " آدم الف " بطريقة غير مباشرة على ذلك ، حينما كتب في عام ١٩٧٦ بان الوفاق الدولي هي بداية مؤشرة على ان مرحلة جديدة من العلاقات بدا ينتهجه الاتحاد السوفييتي في علاقاته مع الولايات المتحدة ولكنها ليست مؤشرا على ان السوفييت يودون اتباع سياسة تحظى بموافقة الولايات المتحدة . ان هذا التوضيح هو حقيقة رئيسية معروفة للجميع عن موقف الاتحاد السوفييتي الواضح والصريح. ان سياسة الوفاق هي سياسة جريئة وخلاقة وتتوافق عمليا مع الوضع العالمي وهي تهتم بالمشاكل العالمية ولكنها ليست — ولا يمكن ان تكون — طريقة لالغاء قوانين الصراع الطبقي.

ان حقيقة وجود طريقتين للحكم (راسمالي واشتراكي) يوضح بانه لا يمكن ان يكون شكل واحد للديموقراطية . وقد شدد لينين على انه في المجتمع المنقسم الى طبقات ، فان الماركسيين يعلمون وهم مدركين لديمقراطية الطبقات ولا ينسوا ان يسالوا ، الديمقراطية لمن؟ في صالح من والى اية نهاية ؟؟ ما هي الطبقات والتجمعات المستفيدة من نوع معين من الديمقراطية ؟؟ " انهمن الطبيعي جدا ان يتكلم الليبراليون عن الديمقراطية عامة" يقول لينين ، " ولكن الماركسيين يتساءلون دائما لاية طبقة هذه الديمقراطية؟" وهذا ينطبق ايضا على المجتمع البورجوازي ، حيث ان الديمقراطية تتخذ شكل سيطرة راس المال . وعند المقارنة مع عهد الاقطاع ، فان الديمقراطية البورجوازية كانت ر ر ر ر وكما يقول المؤرخ الامريكي " هوفستادر" ، عن عقلية زعماء الثورة البرجوازية بما فيهم الامريكان " فان الحرية مرتبطة بالملكية وليس بالديمقراطية علما بان وثيقة الاستقلال الامريكية (١٧٧٦) اعلنت عن حق كل مواطن في " الحياة والحرية، والسعادة" ، الا انها لم تحدد ضمان ذلك الحق وفي عملية تطور البورجوازية الديموقراطية في الولايات المتحدة ، فان بعض القوانين في وثيقة الاستقلال قد استبعدت الى عالم النسيان ، وفي النهاية ابطل العمل بها. وهكذا ، مع ان وثيقة الاستقلال تنص على حق الشعب في ازالة الحكومة التي لا تناسبه فان القانون الجنائي الامريكي يعتبر جريمة مميتة كل من يظهر — شعورا كتابة ، طباعة او اى شكل آخر ، مقاومة للسلطة او قلب الحكومة الامريكية.

في حقيقة الامبريالية، وبالتحديد في اوقات الازمات العامة للراسمالية ، فان البرجوازية تعمل على تقنين الديموقراطية المقطاة من قبل الحكومة ، ولهذا تجد متنفسا لها في الاستبداد بالسلطة والميل باتجاه احتكار جميع مراد الدولة، في مخالفة الحقوق المدنية والحريات العامة، في التمييز بين العرق واللون ، اضطهاد الزعماء التقدميين ، انتهاك حرية الاختصاصيين بسبب مواقفهم السياسية ،التجسس على الجميع وظهور الفاشية وموسساتها . واخيرا في ظاهرة تمركز السلطة بشكل علني في يد المرسسات القوية.

انها ليست الاشتراكية التي "

Digitized by Birzeit University Library

الديموقراطية ، كما يدعي بعض اصحاب النظريات الغربيين ، ولكنها الراسمالية التي اصبحت ذات " عقب حديدية " وعائق نحو التقدم الاجتماعي . ان المجتمعات ذات التناقضات الطبقية تخلق بداخلها علاقات اجتماعية تضغط على الفرد وتسيطر عليه ، وهذا ما يسبب الانحياز من جهه الى اخرى .ولكن لو نظرنا اليها من الجهة الاخرى ، فان الدولة السوفياتية ، ومنذ ولادتها — اوجدت " فرص عملية اكبر للتمتع بالحقوق الديموقراطية والحريات اكثر مما كان في السابق ، وحتى اكثر مما هو موجود في اكثر الجمهوريات البورجوازية ديموقراطية "

وفي الوقت الحاضر ، فان التطورات الاجتماعية قد اظهرت بانه يوجد ارتباط وثيق بين الديموقراطية والاشتراكية . ان الديموقراطية بالنسبة للاشتراكية هي قانون واضح لنوع المعيشة والتطور كما هو واضح ايضا في نوع الحكم الجديد الذي اوجده العمال لحكم انفسهم ، وقد ظهر ذلك في المؤتمر السادس والعشرون للحزب الشيوعي السوفياتي حيث نص على " اما اليوم فاننا نعلم ليس نظريا فقط، ولكن من الممارسة لسنوات كثيرة وطويلة بان الديموقراطية الصحيحة غير ممكنة بدون الاشتراكية ، وان الاشتراكية غير ممكنة بدون تطور ثابت وراسخ للديموقراطية "

× × ×

رغم العديد من الخرافات الايديولوجية المتعلقة بالمعجزات الاشتراكية للديموقراطية ، الا ان الخرافة التي اكتسبت اكبر زخم في تلك المتعلقة بالتباين المباشر بين المعسكرين الشرقي والغربي ، او بين روسيا واوروبا الغربية فيما يتعلق بالديموقراطية . دعونا نسترجع الضجة المفتعلة والادعاء الذي روجت له الدعاية الغربية حول ما يسمى " بالروح الروسية الغامضة " وميلها الى التطرف ، وكذلك " التخلف الاجتماعي والثقافي " للشعب الروسي الذي يزعمون بانه لا يمكن ان يتخطاه، وكانه قد حكم على هذا الشعب بان يبقى وراء المفاهيم الاجتماعية المستساغة التي تحكم عملية التحضير .

وهذا التباين واضح بين روسيا وبالتالي الاتحاد السوفياتي بشكل عام ، وبين الغرب الذي يقولب البنيان الكامل لما يسمى بالتضامن الاوروبي ومبادئ حلف الاطلسي وسباق التسلح ، وحتى المحاولات التي يقصد بها زج وحدات من القوى التقدمية القائمة في صراعات الواحدة ضد الاخرى . وانه لما يثير الدهشة الطريقة التي يشوه بها التاريخ وباسلوب يهدف الى معادلة او مساواة النظم السياسية السوفياتية مع النظم القديمة لروسيا القيصرية ،ومساواة مبادئ لينين مع تلك التي كانت على زمن الطغاة " نيكابيف " . من غريب الصدف ان تكون الادعاءات التي يروجون لها فيما يتعلق " بالروح الجماعية " التي تسود في روسيا هذه الايام ، مع نفس تلك الروح الجماعية ، او تشبهها الى حد كبير ، التي كانت تسود ايام الفوضى القيصرية وايام حكم " المئات السود " الذين اصروا بغباء على ان ما تحتاجه روسيا هو ليس ديموقراطية على الطراز الروماني بل نظام عائلة " رومانوف " (القمعي الحديدي) . وقد علق لينين على ذلك بقوله انها لم تكن سوى انكار انسانية الاقنان الذين كرسوا جهدهم للحفاظ على اوتوقراطية نظام الاقطاع .

ان جميع هذه المجادلات — بالطبع — بدون اية قيمة ، ويكفي للتدليل على ذلك بان نسال انفسنا : — كيف تمكنت هذه " الروح الجماعية " في فترة قصيرة من الزمن القيام بثلاث ثورات بحيث اصبحت احداهن ، وهي ثورة اكتوبر اهم حدث في القرن العشرين . . . وكذلك نسال ماذا يمكن ان يحدث " للديموقراطية الغربية " لو ان المانيا النازية تمكنت من قهر الاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية الثانية ؟

وعند انطلاقنا من الحقائق وعدم اخذ سفاسف الامور بعين الاعتبار، وعند من لم يصيبهم عمى الحقد ، فانه لا يمكن الانكار ، بان ثورة اكتوبر الروسية اوجدت نوعا "جديدا" من الديموقراطية في روسيا وكذلك اثرت في تطور الديموقراطية في العالم وخلقت آفاق واسعة للنهج الديموقراطي . وكذلك ايضا فان تاثير هذه الثورة الجماهيري فتح امامها طاقات للتاثير المباشر في سياسات العالم ، بحيث ان عمال البلدان الراسمالية حصلوا على مكاسب اقتصادية وديموقراطية ما كانوا ليحصلوا عليها الا بعد مثل ثورة اك

Digitized by Birzeit University Library

ان الزخم الذي خلقته دراسة الاشتراكية الديموقراطية قد اخذ اشكالا عديدة في البلدان الراسمالية . وبواسطة النشاط العملي للاشتراكية فان اهم شيء حصل في هذه البلدان هو انها انعشت وحركت مطالب الجماهير بكسر الجمود الاجتماعي . ولهذا فاننا نرى بان كثيرا من البلدان الراسمالية قد الغت القوانين المتعلقة بتحديد قوانين الاقتراع وسمحت لفئات كبيرة من المحسوقين بان ياخذوا حقهم في الاقتراع.ان انتصار الثورة الاشتراكية قد ساعد في قلب موازين الامور بحيث جعل من فئة العمال الذين كانت تلعب بهم الاهواء السياسية على هواها، قد جعل منهم فئة تتدخل سياسيا في كثير من الامور بحيث اصبحوا يقررون الاجراءات التي يجب ان يتخذها الساسة .ان هذه الفئات العمالية قد تاثرت ايضا بما يجرى في الاتحاد السوفياتي وقد اصبحت تطالب بمنحهم حقوق اقتصادية واجتماعية حيوية مثل حق العمل والراحة والتعليم الخ . ان هذه الديموقراطية في المجتمع الاشتراكي تبين الدعم الاكيد من قبل مثل هذه المجموعات من الشعب .ولهذا السبب فان كثيرا من المؤرخين الغربيين قد اعترفوا بما يجرى في الاتحاد السوفياتي ، وعلى سبيل المثال فان البروفسور الامريكي ستيفان كوهين كتب يقول بان التفكير في الغرب على ان حزب البلشفيك قد اغتصب السلطة في عام ١٩١٧ هو تفكير غير صحيح . وفي كتاب صدر بعنوان " استلام البلاشفة للسلطة " في عام ١٩٧٦ في نيويورك فان الكساندر رابينوفتش تكلم عن العلاقة الديناميكية بين القادة وبقية اعضاء حزب البلاشفة واضاف قائلا بان سياسة الحزب تتناسب تماما مع تطلعات الجماهير التي تمثلها .

ان نوعية حكم السوفييتات هي افرازات سياسيه لفضالات فئات شعبية كبيرة ، وهي تختلف تمام الاختلاف عن الطرق التي تتبعها فئات البورجوازية في مجيئها الى السلطة ، واليكم هذه الحادثة من التاريخ وهي متعلقة بالدستور الامريكي . ففي عام ١٧٨٧ كان الشعور العام في المؤتمر الذي عقد لدراسة الدستور، شعور عدائي جدا بالنسبة للمؤتمرين ، وقد علق البروفسور " موفستادر " في حينه قائلا "ان هذه العدائية لجلسات المؤتمر السرية والمغلقة كانت واضحة تماما على وجوه جميع الناس وهي اولا واخيرا تعبير عن عدم ثقة الرجل العادي بالنظام الديموقراطي " .

ان الاشتراكية الديموقراطية هي بعكس ذلك تماما ، لانها تتكيء على قاعدة الاشراك العملي للجماهير في ادارة البلاد . وفي رسالته " الى الشعب " التي كتبها لينين يوم الخامس من شهر نوفمبر عام ١٩١٧ كتب يقول :-

" ايها الرفاق ، ايها العمال ، تذكروا بانكم الان قد اصبحتم انتم على قمة السلطة في الدولة ، ولا يمكن لاحد ان يساعدكم اذا انتم لم تتحدوا وتاخذوا بايديكم جميع امور الدولة . ان مجالسكم العمالية من الان فصاعدا هي وسيلتكم للسلطة في الدولة ، وهي كذلك بالنسبة لمجالسكم التشريعية التي تتمتع بكامل الحقوق "

ان التطور الديموقراطي تحت ظل الاشتراكية ليس مظهرا تلقائيا او عفويا ، بل هو تطور واع بقيادة الحزب الشيوعي والاشتراك الفعلي لعامة الشعب ، وللدلالة على ذلك فان المجادلات والمحاورات التي جرت حول الدستور السوفياتي قد اخذت ابعادا كثيرة بحيث شارك فيها قسم كبير جدا من افراد الشعب .ان مجمل الشعوب السوفياتية قد صمموا قانون دولتهم الاساسي .

ان الحملات الانتخابية لاختيار ممثلي الشعب لمجلس السوفييتي الاعلى تعطي مثالا عن تطور الديموقراطية في تلك البلاد وهي مؤشر واضح على اشراك جميع الجماهير لصنع سياسة الدولة . ان ملايين الناس يتحاورون ويتجادلون بحرية وبطريقة عملية لايصال مرشحيهم الجديرين بثقتهم الى اعلى [illegible] . وللعلم فان من بين المرشحين لهذا المنصب كثير من العمال الصغيرة والعمال في الزراعيات الجماعية والعلماء والمثقفين والفنانين وزعماء الحزب والدولة .

ان " جورج كينان " المؤرخ والدبلوماسي الامريكي الذي يجادل دائما بان الحسنة الوحيدة لاتحاد السوفييتي لا سبر لها يقول في احدى [illegible]

Digitized by Birzeit University Library

"اروني واحدا قد نجح في ايقاف الجرائم التي تحدث عندنا، اروني انسانا واحدا وقف ضد بيع المخدرات وضد التدهور في التعليم والفساد الحضاري . او من وقف ضد العهر والبغاء، او من وقف ضد اي شيء سيء . اروني امريكيا واحدا وقف بحزم كما يجب ان يقف الناس الشرفاء، وعندها اخبركم كيف يجب ان نقسو ونحمي انفسنا من الا"د السوفياتي . ولكن وكما هو الوضع الان ، فانني لا ارى اي جدارة لتنظيم انفسنا والوقوف في وجه الروس طالما ان الحوانيت في واشنطن مملوءة بالصور الخلاعية الجنسية " .. ان الانسان يمكن ان يرى المرارة التي تصيب مثل هذا الشخص . ولكن بالرغم من ضخامة الثروة الامريكية ، ان الراسماليـــة اثبتت عدم قدرتها في تامين الحقـــوق الاساسية لمجموع العاملين عندها، وفي الوقت نفسه فانها " اثبتت قدرتها" في تامين الحقوق التي تقود الى تدهور الانسان والامثلة على ذلك هي صور الجنس (يقولون بانها حرية الصحافة وتجارة المخدرات (يقولون بانها الحرية الشخصية) .وقد خلقت هذه الحريات الجريمة المتفشية والتطرف والارهاب .

ان الحرية ا هي عدم الاستغلال والاضطهاد للفرد ، وهي ايضا حرية التطور الانساني . ان القوانين الاشتراكية ليست فقط لتامين الاقتصاد الحقوق الاجتماعية الموجودة لدى الشعب في الاتحاد السوفياتي ، ولكن ايضا لتوسيع معنى الحرية وتعميمها وتطبيقها . وقد قال البروفسور جون هازارد الذي يعمل في جامعة كولمبيا بان الاتحاد السوفياتي قد لعب دورا " مهما " في تعميمه للمسائل الاقتصادية والحقوق الاجتماعية امام الراى العام العالمي . ولهذا فاننا نرى بان الرئيس كارتر كان غير واعيا لجميع هذه المسائل عندما ينادي بانه " يدافع عن الحقوق الانسانية ".

ان المكاسب الديموقراطية والاقتصاديـــة هي في نفس الوقت مكاسب للاشتراكية ، وهي في الحقيقة تتعاظم وتكثر كلما تقدم المجتمع . وكما هو مبين في الدستور السوفياتي فان حق العمل هو متمم ل " حقهم في اختيار الصناعة او المهنة ، نوع العمل، وحقهم في الاختيار حسب هواهم ومقدراتهم وتدريبهم ودراستهم مع الاخذ بعين الاعتبار حاجات المجتمع ". ان التمتع بحق نوعية العمل بالنسبة للعالم الراسمالي معدوم بتاتا مثل ان القضاء على البطالة غير ممكنة . ان معارضي الاشتراكيـــة الديموقراطية وخصوصا الذين ياخذون على الدستور السوفياتي الشروط الموضوعة على المواطنين بان كل من يريد ان يمارس حقه وحريته يجب ان لا تتعارض تلك الحرية مع المصالح العامة للمواطنين والدولة . ولكن يجب ان يعلموا بان الدستور السوفياتي لم يخف عن العيان وحدة الحقوق والواجبات في المجتمعات الاشتراكية التي تعتمد اعتمادا كليا على الفوائد التي يجنيها الشعب والمجتمع من هذه القوانين .

ان حرية الشخص يجب ان لا تتعارض مع حرية الاخرين . وكما اشار قانون الامم المتحدة المنبثق عن الجمعية العمومية بان " على كل شخص واجبات تجاه المجتمع " ويمضي قائســـلا : الاعتراف والاحترام لحقوق وحرية الاخرين وعدم التصدي للاخلاقيات والراى العام والمصلحة العامة في المجتمع الديموقراطي ". ان الدستور السوفياتـــي يؤ من جميع هذه المتطلبات ، وفي نفس الوقت يحق لاى مواطن في الدولة بان يعبر عن وجهة نظره في اية مسالة ادارية وان ينتقد السياسات ويناقش الاصلاحات والقوانين التي يفترضها الحزب او الدولة .

في السادس من كانون اول من العام الماضي وبمناسبة انعقاد مجلس التجارة والاقتصاد قال بريجنيف :"نسمع في بعض الاحيان بانه من الصعب علينا تطوير علاقاتنا لانه يوجد في امريكا من هم غير وديين تجاهنا، وهؤلاء امافي الحكومة او في الكونغرس او في الاوساط الشعبية . ان هذا المنطق غريب ..وكذلك في الاتحاد السوفييتي يوجد من لا يحبون ا يجرى هناك ، ولكن هذا لا يمنعنا من ان نتفهم اهمية العلاقات الحسنة مع امريكا .. لانه في الحقيقة فان السلم والامن بالنسبة لبلدينا ولملايين الناس الاخرين غيرنا يعتمد الى درجة ما على التفاهم المتبادل بين الاتحاد السوفييتي وامريكا " وفي النهاية فان الامور تقف هكذا، فان اصطناع الصراع والحرب الكلامية تسمم الوضع وتمنع المناقشات الجدية من ان تتم لصالح البشرية

عن نيويتايمز السوفياتية

Digitized by Birzeit University Library

حلفاء لا خلفاء

مراجعة لواقع المرأة الفلسطينية
من خلال التجربة و"عباد الشمس"

بقلم سحر خليفة

يا سادة،

وعنكم ولكم، ولا اتعلم عليكم — عينا بعين وسن بسن. فلست آسفة على موقع تجاوزته. ولا عملت على ان .اكون الند لاسند. ولا السداد جزية اتقاضاها. فيطمئن قلبي. وحسبي اني تعلمت ان طريقي معكم. لا امامكم ولا خلفكم. لا اعلاكم ولا اسفلكم. فانتم الحلفاء لا الخلفاء ولا خلط، فلا تخلطوا.

لكن الخلط حاصل، وقد توقعته. ولو لم اكن قد توقعته لصدمت وتراجعت. لكني مستمرة حتى، حتى القيامة؟ لكن القيامة قائمة. فهلا سعينا للتشخيص بدل التشخيص. وربما كان لا بأس من الانتظار اكثر حتى تاخذ الامور مجراها. ويتم الهضم. لكن الاحداث تسبقنا، واخاف ان تقوم الدولة وما زال حامل العصا متربعا على عرش الصهريج وعرش حماره. واخاف اكثر الا تقوم الدولة على اكتاف نفخها الصهريج وميتلها وقع خطوات الركوبة.

وقد قرات ما كتبتم ايها الزملاء. تريدون معرفة رده فعلي؟ فها انا اقول لكم. لكل واحد منكم على حده، ولكم معا في رجل واحد. هكذا اراكم، فرادى ومجتمعين. لكل واحد ملامحه كفرد ولكم معا ملامح مشتركة لرجل اعرفه واطمح الى معرفته اكثر، لا حبا واحتراما له فقط، بل حبا واحتراما لنا. اقول لكم، قرات فيكم ردات فعل خبرناها، وزهقناها. ولهذا فانا مصممة على تحديد التوديد: انتم الحلفاء لا الخلفاء.

اقراكم. افتح الصفحة، الاحساس بالتوقب كالعادة، وبعض فرحه لان كتابتي تعجب البعض، تغضب البعض، تقيم البعض وتستفز. اعترف. ولا باس اذا. سعدت قليلا لانني بدات آخذ المبادرة متى سنحت. فلا لوم ولا حرج. لكن الحرج حاصل وقد فهمتم بعض الرسالة. بعضها لا كلها. فكان ان حل الحرج ثم الخلط، او الخلط — الحرج، ولهذا كنت اعبس قليلا، احزن قليلا، اغضب قليلا، ثم انفجر بضحكة ثم انبه النفس ان الامر ليس بنكته، بل هي ازمة ازمة فهم وتفاهم، فهلا تفاهمنا يا سادة؟ بالحسنى طبعا. وباللطف. فنحن ما زلنا الجنس اللطيف، اقصد انا. ولكن لطفا الدور لي. ولنبدا.

في عباد الشمس اقول: في البلد طاقة غير مستغلة. طاقة بكر، نبتة خضراء محاصرة بالوسخ. والوسخ يمتص الحياة من تربتها ويحرمها من النمو والانماء.

واقول: هذا زمن قحط وعصر هجرة العصافير. والنبتة راسخة لان جذورها ما اعتادت الامتداد لارض غريبة تستورد. والعصافير ذات القدرة على الارتفاع او الانخفاض تطير. لماذا؟ لان هناك الف الان.

وكرد واحد من الف، وحتى لا نبتعد كثيرا عن المحور، فلنراجع ما ورد في حوار اجرته الزميلة ندى الشعيبي على صفحات العدد الحادي عشر من مجلة الكاتب والذي يدور حول قضية

Digitized by Birzeit University Library

احريحير وابعادها.

يقول خد الخريجين واسمه سميح:

ـ كنت متفائلا لكني صدمت حين لم اجد عملا في بلدي هنا. فانا افكر الان بالخروج لعدم توفر العمل.

وفي المقابل نسمع احدى الخريجات واسمها لينا تقول:

ـ هناك مشكلة تطرح نفسها ايضا وهي قضية التمييز بين الجنسين في العمل. ففي مدارس الذكور لا يقبل المسؤولون تعييننا، بل يصرون على انهم بحاجة الى مدرسين رجال. فقط للعمل في تدريس الكيمياء في مدارس الذكور. والعكس على الغالب في مدارس البنات.. مع ان الحاجة ملحة في هذا المجال. لسد النقص الحاد في اعداد المدرسين من ذوي الاختصاص.

وتعقب زميلة لها اسمها رندة قائلة:

ـ ان التمييز القائم على اساس الجنس يزيد المشكلة تعقيدا، وبالنسبة لنا يعتبر ظلما. فكون الفرد ذكرا ام.. انثى يقرر وظيفته وعمله يضيع الكثير من الجهد في عملية التعليم دون فائدة وبدون مشاركة في عملية الانتاج وخدمة المجتمع. نحن بحاجة الى اية طاقة متوفرة لاختصار الزمن في عصر السرعة من اجل اللحاق بركب العلم والتقدم.

من هذه الفقرات الثلاث نستنتج ما يلي:

١ ـ سمح لا يجد عملا في الضفة ولذلك يفكر بالخروج.

٢ ـ لينا ورندة لا تجدان عملا ولم تورد اية فكرة الخروج. والاسباب. كما تعرفها ان احداهما المرأة اقصر من اجنحة الرجل نظرا للظروف الاجتماعية والروابط العائلية.

٣ ـ هناك نقص حاد في اعداد المدرسين (الذكور من ذوي الاختصاص. ولا بد ان لهذا ارتباط "بالخروج". فالظروف المعيشية التي ترضى بها المرأة لا يرضى بها الرجل. وبشكل ادق، التوامات الرجل الاقتصادية عموما اعقد واثقل من التوامات المرأة، ولهذا، فان ما يكفي المرأة ـ وهي العنصر الاقتصادي المساعد ـ لا يكفي الرجل

٤ ـ بالرغم من النقص الحاد في اعداد المدرسين، الا ان المسؤولين لا يقبلون تعيين الاناث. مكان الذكور، بل يصرون على انهم بحاجة الى مدرسين رجالا فقط للعمل في مدارس الذكور. (وهنا نصطدم بحوجز محلي. لاحظوا).

٥ ـ "والعكس على الغالب في مدارس الاناث". والمقصود في هذه الجملة ان تعيين رجل في مدرسة اناث امر يقبله المسؤولون. اما تعيين امرأة في مدرسة ذكور فامر لا يقبله المسؤولون. معنى ذلك، وبغض النظر عن مشكلة التمييز

الجنسي وخلفيتها الموكبة. الا انها على الصعيد العملي تعني ان امكانية حصول الذكر على عمل اكبر من امكانية حصول الانثى على عمل في نفس الميدان. ورغم ذلك. فان امكانية "الخروج" لديه اكثر مما هي لديها.

٦ ـ علاج سميح للموقف هو "الخروج". وعلاج لينا ورندة هو البحث عن حلول داخل البلاد وليس خارجها. معنى ذلك ان الباقين المحرومين من الامتيازات والتجاوزات المحاصرين من الجهات الاربع. الدين والجنس والطبقية والقومية. هؤلاء اذا توفر لديهم العمل المعقول من العلم والثقافة والاستقلالية. لا بد وان يثيروا الاسئلة "الداخلية" اي المرتبطة بالوضع الاجتماعي ـ الاقتصادي. وهؤلاء، هم المعنيون في نهاية المطاف بتغيير الوضع الاجتماعي لارتباطه المباشر بمصالحهم المباشرة حيث لا مجال لايجاد بديل عن مجتمعهم.

٧ ـ حين اوردت الفتيات في ذاك الحوار مشكلة التمييز بين الجنسين. ما اوردنها بداية "النزعة النسوية او الشوفينية النسوية". ولا اوردنها منها معزولة عن الوضع الاقتصادي السياسي العام. بل "اننا بحاجة لاية طاقة متوفرة لاختصار الزمن".

هذه مشكلة من مشاكل. وقضية قطاع من القطاعات، وبعد واحد من ابعاد صورة اخطر هو الاحتلال نفسه، وهي احدى العوامل المؤدية للهجرة.

وهناك نوع اخر من الهجرة لم يشر اليه مقال. او تحقيق او دراسة، وهي الهجرة الى الداخل. ولا اقصد بهذا النوع من الهجرة عمال العمل. العرب في اسرائيل، فهذا الموضوع قد تناولناه بحثا. لكني اقصد الهجرة عن البلدة الى قلب البلد ـ السجن. الوف السجناء الراسخين فيه والعابرين منه هم دكور. ومعنى ذلك غيابهم عن مواقعهم الانتاجية وتخليهم القسري عن القيام بمسئولياتهم الاقتصادية. وائنا: غيابهم عن مواقعهم، من يسد نقص الايدي العاملة؟ اليست المرأة؟

ومئات الشهداء. الذين سقطوا وغابوا عن مواقعهم الانتاجية، من قام ويقوم باعباء اولادهم الجمعيات. الخيرية؟ الصمود واموالها الفلسطينيون في الداخل او الخارج؟ كلام. ان الحقيقة والواقع يقولان لنا ان من يقوم بها ابناء الشهداء. هي زوجة الشهيد. اي الام. ولتبق سعدية بالبال.

ومثال آخر للهجرة الذكورية اطلعت عليه في احد المكاتب الرسمية حيث وجدت ان اغلب الوف المهاجرين للخارج سنويا هي اسماء ذكور. والسبب كما استنتجنا ليس نقص العمل فقط، ونقص الاجر وتزايد تكاليف الحياة المعيشية

Digitized by Birzeit University Library

بحيث بات. الاجر اقل. من ان يسد تكاليف الحياة الاساسية الملقاة على عاتق الرجل. ولهذا يضطر الى الهجرة.

مجمل القول ان ظاهرة الهجرة او المغايب عن الموقع متفشية لدى الرجال اضعاف. ما هي عليه بين النساء.. وهذه لم نختلف عليها، واذا اختلفنا سنحززها بالارقام، لكن اختلافنا يمكن في النقطة التي اشارت اليها صديقتنا رندة حيث قالت "نحن بحاجة الى اية طاقة متوفرة لاختصار الزمن" ستقولون: اين وجه الخلاف؟ نحن متفقون حول هذا ونناديء به ليلا نهارا، ولهذا ما زلنا نوجه الدعوة تلو الدعوة لمشاركة المرأة واشراكها.. وهذا صحيح، والصحيح ايضا ان في دعوتكم ما يضايق عليه ما وجه في كلمات الزميل عمر ابو عقاب. وهو يهاجم رفيق والطريقة التي تعبر بها عن ثورتها حين يقول" هل نستطيع منطلقين من ثقافة. نظرية وفلسفات. برجوازية ومواقف مثالية ذاتية ان ننزع هذه الشوفينية (الشوفينية الذكورية) متأثرين بدعوة رفيق ومنطلقها وثورتها الطفولية الفتياة؟. (!) "حين استعير هذه الفقرة فانا اقصد ان اقول لكم بكل اكثر من ذلك اقوم باستخدام مثال من صنعكم وواقعكم ولنر كيف نصوغ هذه الفكرة بطريقة انسانية

"هل تستطيع الثورة من خلال "دوريين" شوفينيين تحت الجلد وفوق الجلد، منطلقين من ثقافة نظرية وتطبيقات برجوازية ومواقف مثالية ذاتية، ان تنزع عن المرأة تشككها وتخوفها وتستقطبها؟

هل باستطاعة اية ثورة ان تستقطب اي قطاع من المصحوقين او الموقعين دون ان تقوم بتقديم الوعود في مستقبل اعدل؟ نعم باستطاعتها ان تستقطب البعض وتهيج الكثرة يفضل خطابات لامعة وتحليلات مشتعلة تنطفيء بمجرد ان تصطدم ببيركة ما.. وهذا ما حدث وما يحدث مع المرأة فعلا، وبالذات، تلك التي منحتها الظروف فرصة الاحتكاك بالرجل الحديث الذي يعترف يوميا بتطهريه اتاحة له شوفينيي ايا عن جد فوق الجلد وتحت الجلد، وكانه بهذا الاعتراف يقوم بواجبه الثوري ويسقط ما عليه من غبار ويغير الاحوال من حال الى حال، او على الاقل، يشفع المرأة بحكمه الاية الكويمة "قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا".

اصارحكم، هذا الاعتراف. ما عاد يرضي المرأة ولا يثير في نفسها الا المزيد من الشك والسخرية والحنق، والرغبة في النبش في خلفية هذا الرجل للتأكد من حجم الهوة ما بين النظرية والتطبيق. ثم الابتسام بعد القيام بعملية الغمز واللمز المتداولة، فنحن ايضا بنات. هذا المجتمع ونعترف بان ما زالت فينا تحت الجلد ـ وواسب استفاية. وفضول وطولة لسان، وتربية بلدي حسب الاصول، والشهادة. ذله انها تشفع وتنفع خاصة مع من بيتهم من زجاج.

وبكل صدق اقول لكم، ان هذه الطريقة في التحليل والتعليل والتقعيد باتت تنفر المرأة اكثر مما تستقطبها. كلمات الشباب الرنانة عن المرأة وتضيتها وضرورة تسويقها حتى يتم التحرر القومي والطبقي باتت موضوعة تثير ابتسامات.. وتعليقات. لادعة من قبل فتيات. لا يتجاوزن العشرين الا قليلا. ولا انسى مشهدا اجتمعت فيه مجموعة من الشباب. والفتيات. في زاوية من زوايا جامعة بيرزيت ليناقشوا امام. عدسة كاميرا تلفزيونية موضوع المرأة الفلسطينية والثورة. كان مشهدا يجتمع فيه خصائص وملامح ظاهرة عمرها لا يتجاوز. الصفوات.. وهذه الملامح التي ادور اتلقطها من هنا وهناك، كلها اجتمعت معا لتشكل محور الظاهرة. هما الجميع، الشباب. والفتيات يحرد نفس المفاهيم المعروفة عن علاقة المرأة الفلسطينية بالثورة، وتدريجيا تراجعت بعض الاصوات. حين فرغت ما لديها وبقي في البوتقة [illegible] ملتزم يأبى الا ان. يردد نفس المقولات السائدة عن حتمية تحرر المرأة حال التحرر القومي والطبقي، وفتاة تقدمية تقول للشاب. بذكاء بارد: "التحرر القومي والطبقي لا يؤديان. بالضرورة الى التحرر النسوي. اذ ان لكل عنصر من العناصر المعادية للاستغلال ثورته قال: "لكن لا فرق" قالت: "بل هناك فرق" قال "حين تتحرر قوميا وطبقيا ستحرركم" قالت: لا احد يحرر احدا، لا يتحرر الا من يحرر نفسه، و[illegible] الا مدفوعا. هل تتوقع ان نصدق ما تدعونه عن عدالة الثورة؟ كنا نصدق ثم اكتشفنا وتجلطنا! لكن هذا لا يعني اننا سنكف عن العمل من اجل التحرر القومي والطبقي، اما التحرر الجنسي [illegible] هذه قضيتنا. واذا اردتم ان تسامعوا فيها فاسمعوا ما تقول ولا تتوقعوا منا ان نسمع ما تقولون الا بقدر ما يتماشى مع مصالحنا" هذه الافكار كنت قد سمعتها مرارا في مجالس مختلفة وفي زوايا مختلفة، لكني لم احضر مجلسا تبلغ فيه حدة التناقش هذا الحد من التبلور. ولا ابدر اني كنت اخفق اثناء النقاش. فقد تراءى لي ان المستقبل اقرب مما تصورت، وان الحالة القضية تنمو باسرع مما كنت اتوقع. صحيح ان تجربة "عباد الشمس" قد منحتني فرصة التعرف على ردات. فعل الرجال والنساء تجاه الشخصيات النسوية في الرواية. وكانت مختلفة قطعا الا انها كانت اعتقد ان الظاهرة، ظاهرة. المرأة [illegible] والقضية ذات الملامح الخاصة فضلا عن [illegible] باتت بهذا المستوى من التبلور والتقدم [illegible]

Digitized by Birzeit University Library

التمييز وتحديد الاطر دون خلط بين ما هو خاص وما هو عام .. ومن اين جاء هذا التبلور وهذا التحديد؟ من الفئة المفتحة نفسها صاحبة التجربة ذات البعد الاكثر من واحد . وهذا واقع ليس بجديد عالميا، لكنه جديد في عالمنا العربي . وكلما طال . عمر النضال المشترك في سبيل الاهداف المشتركة، كلما تفاقم وتبلور عنصران لا غنى عنهما ولا مناص.

وهذا العنصران هما :

١ - ان النضال المشترك على الصعيدين القومي والطبقي يزيد من بلورة الصراع الجنسي نتيجة الاحتكاك اليومي المباشر ولا يلغيه او يخفف من حدته كما يدعي بعض السذج، نظرا الى ان الرجل المدعي لاعتناق مفاهيم العدالة والساعي لتطبيقها في هذه الموحلة، هو نفسه

الذي يعترف بانه شوفيني تحت جلدة "كذكر"، وان لا حيلة له في ذلك لانه ضحية تاريخ طويل عريض من التوبية والتقاليد والدين والقيم . الخ. وهذا صحيح تماما، فمن الخطأ ان نفترض ان الثورة القومية الطبقية قادرة على اختراق كل الحواجز المثار اليها في مسافة زمنية لا تتجاوز السنوات العشر او العشرين . لكن، من السذاجة ايضا، ان يفترض الرجل ان المرأة التي تعلمت منه اسس الرفض للواقعين : القومي والطبقي، غير قادرة على تطبيق نفس المفاهيم على المستوى الجنس كذلك . خاصة وانها تحتك به يوميا بحكم الظرف، فتسعده بحاضر عن الحريات المقموعة يوميا، وتراه يناقش نفسه — على المستوى التطبيقي — في مجال المرأة يوميا . فكيف يفترض الرجل الحديث ان المرأة الحديثة وقد وصلت هذا الحد من الثقافة والعلم والجرأة لن تجرؤ عليه ولن تناقشه ولن تحاسبه؟ اذا اذا افترض ان موقعه كرجل يمنحه الحصانة بحيث لا يحل عليه حساب او عتاب . وقد نسي صاحبنا ان ليس في الثورة حصين ولا حصان . بمعنى، ان لكل انسان الحق في الحساب والعتاب . يحق له ما يحق عليه . واذا كانت الثورات تخطئ في تطبيق هذه الاسس والمبادئ، فلا لوم على المبادئ، بل علينا . والمطلب هنا للرجل طبعا، فالمرأة قد اعتادت الحساب والعقاب منذ البداية، ولا عجب اذا مزت الكتفين ولوت الشفتين وقالت : حاسبوا . اما بالنسبة للرجل، فهل يهز الكتفين؟ بل يهز كل شيء الا كتفيه، واول ما يهزه هو سبابته ويتلو بصوت جهوري عامر: حذار حذار ايتها المرأة من اثارة هذا الموضوع لانه خروج على الثورة، بل انه انحراف . وتحريف للثورة .

٢ - اما العنصر الثاني الذي يزداد تبلورا كلما طال عمر النضال المشترك، فهو اسلوب النضال. فمن خلال التجارب والممارسات التي تنتهجها الثورة، تتعلم المرأة — عن طريق التجربة والممارسة — افضل اساليب التكتيك وانجعها فتستخدمها وتكررها في يوم لاحق من اجل الدفاع عن قضيتها، اي عنها كامرأة. ومن السخرية بمكان ان يجد الرجل نفسه يوما رهين تطبيق اسلوب منهجي كان قد علمه للمرأة بنفسه. ولكن لماذا ننظر الى المسألة من زاوية السخرية كما يفعل الشوفينيون؟ اما كان اولى بنا استعمال كلمة العدل بدل السخرية؟ اذ الا يحق للطالب ممارسة ما تعلمه من استاذه؟ او ليس من حق الاستاذ ان يقطف ثمار ما علمه؟ ومن هذه الاسئلة تستنبط الاستنتاج التالي:

ان الثورة النسوية لا تبدأ من فراغ سياسي — اجتماعي، اذ ان كل نظام او حركة تفرز حركة نسوية موازية لها في الاتجاه والدافع، فاذا كانت الحركة النسوية في امريكا قد عجزت في مجملها عن تجاوز روياتها الاقليمية العنصرية الطبقية، فلانها ابنة نظام قائم على كل ما سلف ذكره. واذا كانت الحركة النسوية الفلسطينية ذات اتجاه اشتراكي يأخذ الابعاد الطبقية والقومية ويطور منها بعده الجنسي، فلانها ابنة ثورة تنادي بالعدالة القومية والعرقية والطبقية وبالضرورة الجنسية ايضا.

ولا بد من الاعتراف، هنا ان اقواجا من الثوريات العربيات ما كن ليتبنين في ارضية غير مواتية للنمو، بمعنى ان هاتيك الثوريات كن تلميذات للحركة التحررية العربية الذكورية، ومنها تعلمن اسس الرفض لواقع تنطمس فيه معالم هوية كل من يرفض. تعلمن اسس الرفض اينعم، وكان الفضل في ذلك لمن سبقوهن في التجربة والخبرة. لكن السؤال هنا هو التالي: هل التعلم يعني استمرار الوصاية؟ والى متى تستمر الوصاية؟ وهل الوصاية المستمرة ظاهرة صحية ودليل قوة؟ وهل الظواهر الموضية تنتج ظواهر صحية؟ حين تحل الثورة ويبدأ الحساب.. وما قد بدأ، فهل تهمله او نهمله بقرار او نواكبه بقرار؟

هذه التساؤلات لا بد وان ترجعنا الى السؤال المطروح : "اهدأ وقته؟".

وسؤالي هو: وقت ماذا؟ وقت نبش المشاكل الاجتماعية؟ وقت نبش المشاكل الطبقية؟ وقت تحليل واقع متخلف هزم نتيجة هشاشه تركيبته الداخلية وبنيانه المهزوز؟ وقت اجراء بحوث وكتابة دراسات. وتلمس اوجاع داخلية من خلال ادب وفنون وعلوم مكرسة لتعميق فهمنا للواقع من اجل تجاوزه؟ وقت طرح الشعارات جانبا ونقصي

Digitized by Birzeit University Library

المحسوسات. باسلوب علمي يحيد كل البعد عن الرومانسية والتحبير العاطفي والتدفع بالصبورات واختلاق الاعذار؟. "اهذا رفيقه"؟

يذكرني هذا السؤال. بسؤال شابه كان يطرح قبل سنوات. ثم تجاوزناه حين اعترفنا بصوابه. وكان السؤال: اذا طرحنا المسالة الطبقية للبحث الن نعكر صفو الوحدة الوطنية؟ سؤال يحمل في ثناياه ملامح الضاحك ـ الباكي. وكان المسالة الطبقية غير قادرة على التحرك الا اذا طرحت. وكان الوحدة الوطنية قد سن الاقداس. والسوط الالهي الذي لم يتسخ بادران الدنيا وغبار الواقع. الوحدة الوطنية هي ما راينا وما نرى. فعلى من نضحك؟ على انفسنا ام ندكي. وكان ما كان، ضحكنا وبكينا ثم استعدنا توازننا حين علمنا الواقع ـ لا التنظير ـ ان الوحدة الوطنية تتماسك اكثر كلما صدمت اكثر. والصدمات لا باس بها ولا بد منها حين يستفحل الركود ويستشرى الزيف. جسم ورمته الادران. فاهلا بالمشرط ان كان. تحت الجرح صديدا. يؤلمنا، لا باس، والثورة مؤلمة ايضا. كل الدم وكل الموت وكل الجوع والدموع. والخنادق والمجازر. وعمان. وبيروت والعالم العربي وكل العالم. الا يؤلمنا؟ ويؤلمنا الدبش بين الضلوع وكان الجسم الراكد. المهدود تحت وطاة البلادة والموض قادر على الحركة السليمة بالاتجاه السليم. فهل نبقي الجسم مريضا باليدا حتى لا يقال ضعضنا الوحدة الوطنية؟ اهذه هي ايمان الثورة؟ شعار يتغنى بالوحدة الوطنية والصراع القومي فقط؟ هذه ليست ثورتي، ولا ثورتكم، ليست ثورتنا يا عالم. ثورتنا ليست قشرة ارضية على سطح الكرة. ثورتنا تعني اكثر من الارض لان الارض / مصر الساذجين نحو البلوغ. وويل لارض ستحملنا عبئا بدلا من ان نكون بشير الخلاص. وهيهات. ان نحملنا اصار وما زلنا نتعكز على الاوراس. ونختبئ / تحت شعار الوحدة، والشعب وحده.

واعترفنا ان البعد الطبقي لا بد من تناوله وقد فرض نفسه. لكننا قبل الاعتراف، طبلنا وزمرنا وسمعنا الثقائم، وسمعنا النواح. وسمعنا التهديد وتلقينا الصفعات.. وماذا كانت النتيجة؟ المزيد من المال، بداية. تبلور الطبقة العاملة، نقابات، المزيد من النقابات. وتوحيد الايدي، والمزيد من الوعي والسير السليم في الاتجاه السليم. سلوكيات. وتعثرات. هنا وهناك؟ لا باس، النضج لن يسبق التجربة. وبعد سنوات. ليست كثيرة في عمر التاريخ ـ ولو انها كثيرة في عمر الالم ـ تعلمنا كيف نناقش المسالة الطبقية بشكل اوعى واصرح واوضح.

لكن الشروب لا تتعلم بسهولة. مشكلة العالم الثالث والاول وما بينهما من. عناصر مشتركة ومتضاربة. مثال الاول ينعكس على الثالث ويكون لديه ردة فعل مساوية في الثقل والحدة. والامثلة التي تطرح في العالم الاول تتخذ دوائع وحجج في ايدي واقواه السادة. واصحاب المصالح والامتيازات في العالم الثالث. ومن بين الحجج حجة تثير الحنق لفجاجتها وسذاجتها، فمع من تتكلمون يا سادة؟ وعلى من نضحك؟ نقول لكم بفضلكم تعلمنا كيف نثور، وبفضلكم تعلمنا كيف نناقش، وان الثورة بدون المراة ليست ثورة حقيقية، وان الشعارات الفضفاضة التي تطلقها الثورة في سبيل توحيد الصفوف لن تجد ارضية واقعية الا اذا. اخترقت الواقع. وان الثورة لن تكون خلاقة اذا لم تحتضن بذارها وتنميها وتستفيد منها. ما هي المراة امامكم، اشتغلوا عليها. اشتغلتم ما فيه الكفاية. نسامحكم، لكن التاريخ لن يسامحنا ولن يسامحكم وهذا شغلكم وشاغلكم. فلا عتب ولا عجب اذا ارتدت الثورية عن ثورتها، واذا اختبات المحبطة في اردعة وحجب تستر عورات النساء.. عجز القوى التقدمية ككل، وتكالب القوى الرجعية، والعالم الاول والثاني والثالث، افهم، افهم، لكن الكثير مما لا افهمه هو سبب استمرارنا باغماض العينين عن الظواهر. المراة بمفهومها الحديث اصبحت ظاهرة، ظاهرة لن تستقطب بالردع. كان ذلك فيما مضى حين كان يقال "للمراة" على الحرام ما انت عاملة ولا مسوية.." فلا تعمل ولا تسوى ولا تقوم الا اذا. قام ولا تكبر الا اذا. كبر. اما الان، صحيح ان هذا المثال ما زال منطبقا على الاغلبية الساحقة من نسوة ورجال مجتمعنا، الا انه مثال لا ينطبق باي. شكل من الاشكال. على المراة التي تعلمت كيف تتظاهر، وكيف تحمي الاخ والابن والزوج وتقوم بطرائده. اذا. كبا او تكبل، وتسجن وتعذب وتموت، والاهم والابلغ انها تعلمت كيف تقوى على الضرب والضربات، وان. تردد. هذه المراة بالذات، التي تسمعون صوتها والتي تحاول. ان. تصل اليكم وتوصلكم اليها لكي نصل البلد، اعتقدتمون انها ستخاف. من اصطلاحات. كانت اذا. ما قيلت في حضرتها احمرت واخضرت واسبلت الاهداب. وقال. "امين"؟

واصطلاحات. واصطلاحات. "خلع وغدجا، ومغناج. ودلع وحقد ونزعة نسوية واحتداد الحركة النسوية المنحرفة في الغرب وركوب الموجة القومية كشيء مستقل عنه بدلا من ان تكون احدى جزيئاتها. والى. آخره الى آخره". وواصل احدهم وقد هزته المفاجاة اثر قراءة عباد الشمس وكان صادقا في التعبير ليس عن حقيقة مشاعره فقط. بل ومشاعر غالبية القراء من الذكور، قال:

Digitized by Birzeit University Library

"فوقفنا نفكر مذهولين لا ندري أنصدق ام نلطم" نلطم، نلطم، ولم لا، نلطم اذا. كان اللطم هو المرحلة الاولى للفهم. وقد لطمنا كثيرا.. حين فهمنا، وربما جاء دورکم لتفهموا، وحين تنتهون ستجدوننا بالانتظار لنعمل معا من اجل سعدية وكل السعديات. وقد قامت سعدية من غفلتها.. اربعة عشر عاما من الاحتلال كفيلة بان تصحي اخبل النيام، فللحق بها قبل ان يتلقفها الحجاب، والموت البطيء، هذا ما قالته عباد الشمس. فاذا كان هذا الطرح ثانوي في عرفكم. فمع من تتكلم يا سادة؟ نحن نتكلم وانتم لا تسمعون، ذنب المتكلم ام المستمع؟

لكننا، وبعد سنوات من الان وبعد ان يفرض الواقع امثولته، سنتغنى باننا كنا السباقين في طرح قضية المرأة كما كنا السباقين في طرح قضية العمال، اليس كذلك؟ ويقيني ان ما تقولها الان سيحفظ، ولهذا فما زلنا نقول وسنقول ولن نتقدم بل سنقول اهلا وسهلا، ومنذ الان نقولها: اهلا وسهلا، فالعين لا تعلو على الحاجب ولو انها تضيئه، فهلا استفدنا من هذه الاضاءة بدلا من الاستمرار في التذكير بالموقع؟

والان، وقفة عند هذا الحد لاسترجاع الانفاس واستعادة ما قلناه حتى لا يجرفنا الحديث، ماذا قلنا حتى الان؟ نلخص في نقاط:

١. ان الهجرة او الارتحال عن الموقع تاخذ مجراها بين الرجال المنتجين اكثر مما هي عليها بين النساء..

٢. ان الهجرة بين الرجال بدأت تفرض على المجتمع هنا ملامح وخصائص مختلفة، وهذا يحتم النظر الى الابعاد الاجتماعية بنظرة مختلفة. بمعنى ان الوضع القائم يطرح المسالة النسوية بحدة، وان الطرح لا بد وان ياخذ بالشرط النسوي بكل ابعاده. حتى ينجح التحريك والاستقطاب..

٣. ان استقطاب المرأة بشكل حقيقي ـ ـ كاستقطاب اية شريحة اخرى ـ لن يتم الا اذا لمست الثورة اوجاع المرأة وشخصتها قبل ان تبدأ بالعلاج. وان هذا العلاج لن يتم بمعزل عن علاج الرجل الذي هو ايضا، نتيجة التربية وكل الظروف المحيطة، يعاني من ضعف حاد في وعيه الجنسي مما يؤدي الى صدور ردات فعل مرضية من شانها ان تنفر المرأة المنفعلة في اوساط الثورة او الساعية نحوها، ومن شانها ان تعيق محاولات المتقدمات في استقطاب المتاخرات، حيث ان ردات فعل الرجل الموضعية ما زالت تتبع نفس الاسلوب التقليدي الهدام من الاستغابة والتجريح واستعراض الفحولة وادعاء واختلاق الحكايات. التي يكون فيها "العوض الشرقي" هو المحور، والبطل المغوار هو الرجل،، وتكون الضحية امراة كل ذنبها انها خرجت عن الطوق وحاولت ان تغير وان تتغير. وهذه الامثلة من شانها كما اسلفنا ،. ان تنفر المرأة من الثورة بفضل "الثوريين"، وتخيف اللاحقات من اقتفاء اثر السباقات. خوفا من ان يصبن بمثل ما اصاب ماتيك من تشهير وسخرية واستغلال وبوار..

هاتيك من تشهير وسخرية واستغلال وبوار.. النقاط. التي لخصنا فيها الحديث لا بد وان تقودنا الى السؤال الكبير التالي:

ـ ماذا فعلت الثورة بالمرأة ولها؟

بالامكان مراجعة غازي الخليلي بهذا الشان، فقد كان له الفضل في نبش هذا الموضوع منذ اربع سنوات. على الاقل، وللاسف اننا هنا في المناطق المحتلة لم نتمكن من الاطلاع على دراسته الا قبل اسابيع. لكن ما كتبه غازي الخليلي منذ اربع سنوات. ظل ناتما على رفوف مكتبات. قادة ثورتنا ان ما قراوه عن المرأة الفلسطينية والثورة" هو العنوان. الذي نحاول. ترويجه في مؤتمرات العالم. حتى يقال. اننا ثورة متحضرة، وكذلك ما قراوه في صحافة بيروت وما سمعوه من نقاشات. مثقفين ابرز ما يميزهن هو الاعتزاز بالذكورة واللون الاحمر الضارب للصفرة. منذ اربع سنوات. حتى الان لم يصدر كتيب واحد من ادبيات الثورة يناقش اوضاع المرأة بشكل جدي، كل ما سمعناه عن هذا الموضوع هو ضرورة اشراك المرأة في الثورة وضرورة استقطابها. بمعنى، طرح الشرط الوطني على المرأة دون طرح الشرط النسوي على الوطن. بمعنى آخر، طرح من فوق وليس من تحت. فهل ينجح هذا الطرح على المدى البعيد او حتى القريب؟

للاجابة على هذا السؤال لا بد من اجراء مسح اجتماعي مبسط نستعرض فيه الظروف الاجتماعية التي تمر بها المرأة بكافة انتماءاتها الطبقية والفكرية في المناطق المحتلة. ولاختصار العملية وتقريبها من الاذهان فلنستعن بتجربة "عباد الشمس".

"قال. صالح. اثناء الدرس، من هي المرأة؟ قال. ملتح، هي نصف الدين، ماحكم صالح، لكنهن ناقصات. عقل ودين، قال. ملتح، وهو كذلك. قال. صالح، لكن المرأة نصف الدين ونصف البلد. اذن سنحرر نصف البلد. قال ملتح اذا. قمنا قامت فنحن القوامون. قال شاطر، ابدل

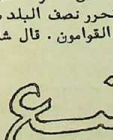

Digitized by Birzeit University Library

جوائز كبرى حملة

وعشرات الجوائز الاخرى

تلفزيون
دراجة هوائية
مروحة كهربائية
كاميرا
لفافة شعر كهربائية

٥٠ هدية من منتجات عويضه

ارسلوا الينا نسخة من القسيمة الموجودة داخل
علب وباكيتات منتجاتنا الغذائية والشهية.
واكتبوا عليها اسمكم وعنوانكم واشتركوا في هذا السحب الضخم*

شركة مطاحن عويضه للمنتجات الغذائية

الخليل ت: ٩٧٦٦٩٣

تقدم لكم افضل واشهى الاطعمة الجاهزة والوجبات السعيدة
سهلة وسريعة التحضير بتعبئات اقتصادية

فلافل جاهزة
حمص مع طحينة
"صحة"
غذاء للاطفال

* يجري السحب يوم ١٩٨١/٨/١٥
تحت اشراف لجنة خاصة
وتنشر نتائج السحب واسماء الفائزين
يوم ١٩٨١/١٠/٣٠

Digitized by Birzeit University Library

خزفيات فيرا تماري

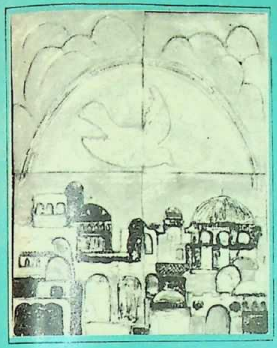

اقامت الفنانة فيرا تماري معرضا في رام الله لاكثر من خمسين قطعة خزفية ، وقد زار المعرض مئات الزوار وابد واعجابهم بالاشغال والمعلقات الخزفية والمزهريات والانية التي استوحت الفنانة اشكالها وزخارفها من الفولكلور الفلسطيني والتطريز . وقد ظهر كذلك في هذا المعرض تاثيرات الخزف والرخارف الاسلامية الجميلة..

ان ما يميز الفنانة فيرا تماري هو طاقتها الاستمرارية الكامنة وتركيزها على مادة واحدة وتطويع هذه المادة لارادتها نافخة فيها روح التراث والمعاصرة معا ..

و " الكاتب " ، مع كل محبي الفنون في بلادنا تغتنم هذه الفرصة لتذكر جامعاتنا مرة اخرى بان رعاية الفنون التشكيلية والتطبيقية هو واجب وطني وتربوي .

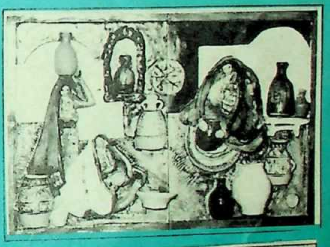

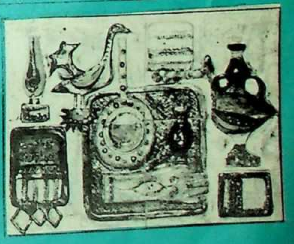

Digitized by Birzeit University Library